Année No. 767

Lundi — 15 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد «٧٦٧» القاهرة فى يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ١٥ مارس سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة ..

— ٤ —

يوم الخميس ١٠ مايو سنة ١٩٤٥

كانت الساعة خمساً بالتمام حين دخلت محَلّى جروبى الجديد أبحث عن الآنسة (س) ؛ وكانت العلامة التى سأتعرفها بها أن أجد نسخة من (الرسالة) على المنضدة التى تجلس إليها . ولكن ماذا أصنع والناس قد فروا من وهج الحر فى قُلب المكان فتكوفوا حول الموائد فى حواشيه وتماشيه فلا يجد المار طريقه بين المقاعد إلا بصعوبة ، والربيع الزاهر المطار قد خلع من حلله وُحلاه على الأشخاص والأشياء ، فالجو عطر والمنظر سحر والأزياء وشى والنساء وُرود والرجال أشواك والأحاديث أغاريد ، فلا أستطيع لشيوع الجمال وعموم الحسن أن أعرف صورة من صورة ، ولا أن أميز زهرة من زهرة !

لو كنت حديد البصر لنفضتُ المكان من بعيد ، فعرفت على أى منضدة تنام (الرسالة) ، وفى أى كرسى تقعد الفتاة ؛ ولكن البصر كليل والمساء مقبل ، فلا مناص من الجولان المتهَم بالفضول ، ولابد من النظر القريب من اللمس . على أننى توخيت المناضد المفردة فجملت وجهى إليها ونظرى عليها ، أخط غير قليل حتى رأيت منضدة صغيرة عليها يدان رقيقتا تقلبان (الرسالة) ، فسكنت فى خروجى برؤيتها من ربكة الم وحيرة النظر أشبه بالزورق العامه فى ظلام المحيط أبصر فى المر ومض المنارة ، أو بالسائر التائه فى مجاهل القفر سمع فى الوا نبض الحياة .

أقبلت عليها فاستقبلتنى واقفة كما يستقبل النساء الرجال الريف ، ومدت يدها إلىّ فتصافحنا باسمين ، وجلسنا متقابلين وكلانا يصعّد النظر فى الآخر ويصوبه ، ويوازن فى نفسه بـ ما تصوره فى الخيال بذهنه ، وبين ما رآه فى الحقيقة بعينه أما هى فلم أدر ماذا كنت فى خاطرها من قبل ، وماذا أنا ناظرها الآن . وربما حملنى العُجب المضمر فى كل نفس أن أسأ عن ذلك فى مؤتنف الأحاديث . وأما أنا فقد كنت موزّع النفـ والحس بين صورتين تختلفان فى الذات كل الاختلاف ، وتتشابه فى المعنى بعض التشابه : فتاة العزبة فى نفسى كزنبقة الروض المطلولة ، بضة الجسم ، لدنة القوام ، مطهمة الوجه ، قد نضر وجنتيها النعمة ، وغلّظت شفتيها اللذة ، وسوّت خلقها الطبيعة وفتاة (جروبى) فى حسى نُوارة من نُوار الفول أبطأ عن حـ الغيث ؛ فهى رقيقة البدن ، مخروطة الوجه ، دعجاء العين ، فا اللحظ ، طويلة الأنف ، ظمياء الشفة ، حلوة الافترار ، هواها أكبر من جثمانها ، وقلبها أجرأ من لسانها ، وخبرها أضخم مـ عيانها ؛ ولكنها على الجملة وضيئة الطلعة ، مليحة القسمات

لطيفة الروح ، تحمل الرجل بصباحة وجهها وصراحة قلبها على أن يأنس بها إذا حضرت ، وأن يفكر فيها إذا غابت .

قلت لها بعد التحيات المنوعة والترحيب المكرّر والأسئلة المعتادة : لقد انقطعت رسائلك عنى منذ شهر فلم أعرف الأسباب التى أقدمتك إلى القاهرة ؛ وما أحسبنى أعلم أن لك هنا أقارب تصلين رحمهم بالزيارة ، وتمتحنين كرمهم بالضيافة . فلعلك قدمت مع أخيك أو بعض أهلك لغرض من الأغراض الخاصة أرجو ألا يكون من بينها المرض . فقالت الفتاة وقد أرسلت نفسها على سجيتها بعد احتشام من اللقاء الأول لم يدم طويلاً : ليس بجسمى والحمد لله ما أشكوه ؛ ولنا فى حى المنيرة منزل موروث تقيم فيه أختى الكبرى وزوجها وابنتاها ، فأنا نازلة عليها به ، ومطمئنة إلى حياتى فيه . وأما سبب قدومى فله حديث عرفت بعضه وغاب عنك بعضُه ، ولو كنت مطلقة اليد لما انقطعت رسائلى عنك ، ولا التبست أمورى عليك . ذكرت لك فى رسالتى الأخيرة — لو تذكر — ما كان بينى وبين ابن البستانى ، وكيف استرقت زوجة أخى هذا السر من أفواه الخدم وأفشته إلى زوجها ، وما أعقب ذلك من الضرب المبرّح ، والحجاب الكثيف ، والمراقبة الشديدة . وكنت أظن أن لذلك العقاب حداً يقف عنده ووقتاً ينتهى فيه ؛ ولكن العذاب اشتد وامتد حتى ضاق مكانى فى البيت ، وساء مقامى فى الأسرة ؛ فأخى يعاملنى بقسوة ، وزوجته تكلمنى بجفوة ، وخادماته القرويات ينظرن إلىّ بازدراء . ومما سوّد نهارى وأطال ليلى أن أخى صادر بريدى فحرمنى أن أقرأ ما أحب ، وأن أكتب إلى من أريد ، فأصبحت كجينة الزنزانة محرومة من اعتبار النفس واستثمار الأنس واستحضار الوجود .

كان لا بد للاناء أن يطفح ، وللجَلَد أن يهى ، وللصبر أن ينفد ، فوطنت نفسى على الفرار إلى القاهرة . ولكن كيف الفرار وليس فى يدى مال ولا فى قدرتى مشى ولا فى أسرتى مساعد ؟ الأمر سهل ! بين العزبة والقرية مسافة قصيرة وسكة معبدة ، وبين أخى وعمدتها صداقة وثيقة ومعاملة متصلة . وهو يعرفنى منذ أن كنت طفلة ، ويسأل عنى كلما زار الأسرة ؛ فإذا ذهبت إليه وطلبت منه باسم أخى بعض المال فما أظنه يمتنع أو يتلكأ أو يسترب . على أن مى خواتمى وأساورى فأستطيع أن أستعين ببعضها إذا حبطت هذه الخطة . وفى تباشير الصبح قبل أن يتيقظ البيت ويسرح الفلاحون ضممت ألزم أشيائى وأخفها فى حقيبة صغيرة ، ثم تسللت إلى الطريق الذاهب إلى القرية ، وكانت الأرض قد طلّها الندى ، والنبات قد كلله الحباب ، والطبيعة الراقدة تحت جنح الليل قد أخذت تستفيق وتنتعش وتتحرك ؛ فالطير تصدح بأغاريد الصباح ، والشجر يتجه بالتحيات إلى الشمس ، وآحادٌ من الفلاحين المبكرين ينقلون كالأشباح خطاهم الوئيدة على ضفاف القنوات وحواشى الزروع ، وأنا فى هذه الصحوة الجليلة أسير بين حقول القمح خائفة مسرعة ، أرقب كل أمر ، وأتأهب لكل طارئ ، فأعدّ لكل سؤال جواباً ، ولكل تصرف علة . وستر الله علىّ حتى بلغت القرية وطرقت باب العمدة ، فتلقانى أهله بوجوه منطلقة وصدور رحبة ، ثم قدموا إلىّ الفطور فلم أنل منه ما ينال العجلان القلق . ثم دخلت على العمدة فى غرفته وقلت له : إن أخى غائب فى المدينة ، وقد أبرقت أختى إلىّ تنبئنى أن ابنها فى نزاع الروح وأمها فى حاجة إلىّ ، فلا بد من سفرى فى قطار الصباح وليس مى نقود . فما كان جواب الرجل إلا أن قدم إلىّ عشرة جنيهات وأمر الحوذى أن يهيئ لى العربة .

دخلت القاهرة عشية يوم الأحد الماضى ، وكان حالى وأنا أسير فى زحمة الخارجين من المحطة حال الهارب من السجن ، يتوهم فى كل مكان جاسوساً يرصده ، وفى كل طريق شرطياً يتبعه . فلم تكد عينى تقع على سيارة عامة بجانب الإفريز حتى دخلت فيها وقلت للسائق : المنيرة ، شارع كذا ، رقم كذا . وما هى إلا عشر دقائق حتى وقفت السيارة أمام البيت ، فصعدت الدرج ، وغمزت الجرس ، فأسرعت أختى فى لهفة إلى باب الشقة وفتحته وهى ترتجف ، وعانقتنى وهى تنتحب ! وكان مبعث ذلك كله أن أخى أرسل برقية إلى زوج أختى يعلن إليه هربى ، ويلح عليه فى طلبى ، فساورت أختى الهموم ، وتنازعتها الظنون ، وعللت هذا الهرب بما أقاسيه فى العزبة من العدوان المستمر ، والحرمان المتصل ؛ لأن أخى لا يهتم بها فهى تسىء به الظن ، ولأن امرأته لا تخف على قلبها فهى تعتقد فيها الظلم ! وقويت أنا فى نفسها هذا التعليل بما افتريت من الأكاذيب واختلقت من المظالم . فكتبت أختى إلى أخى تسترضيه عنى وتسأله أن يأذن لى فى البقاء معها أياماً لتجلو عن جسمى هذا المرض ، وتكشف عن نفسى هذا الهم . ولكننى قطعت العزم على أن أموت هنا ولا أعيش هناك ، وأن أخسر رضا الناس أجمعين إذا كسبت رضاك ...

(للقصة بقية)

احمد حسن الزيات

حول كتاب « عثمان »

حكومة النبي وخلفائه

للأستاذ عباس محمود العقاد

« يقول … الدكتور طه حسين فى كتابه عثمان ! » إن حكومة الرسول والخلفاء الراشدين من بعده كانت وضعية وليس للدين الإسلامى يد فيها . ويستنتج من هذا أنه لا فرق بين المسيحية والإسلام من هذه الوجهة وأعنى نظام الحكم والمجتمع ، ويأتى بدليل قوله تعالى : وشاورهم فى الأمر ويقصد الأمور الدنيوية بأسرها …

« ولكن ألم يقرأ قوله تعالى عز من قائل : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون .

«هل كانت حكومة المسلمين من وضع محمد عليه الصلاة والسلام دون إيحاء من رب السماء ؟ وهل كان أبو بكر وعمر يقومان بأعمالهما من تلقاء نفسيهما وليست هى من جوهر الإسلام فى شىء ؟ وهل كان عمر رضى الله عنه يقصد من قوله : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء » … أقول هل كان يقصد الأموال بأنواعها كما يعتقد الدكتور ، أو يقصد الزكاة والصدقات ؟

أرجو إيضاح ذلك على صفحات الرسالة الغراء … الخ

« الأعظمية » عبد الكريم الوهاب

* * *

جاءنا هذا الكتاب فحذفنا منه بعض العبارات التى لا تدخل فى السؤال ، واكتفينا منه بما نشرناه .

والذى نراه أن الأديب صاحب السؤال قد ظلم الفكرة التى نقلها من كتاب عثمان ، لأن الدكتور طه حسين لم يقل شيئاً مما فهمه فى سؤاله ، وكل ما يفهم من كلام الدكتور طه أن حكومة النبى عليه السلام لم تكن حكومة « ثيوقراطية » أى حكومة تستأثر بها طائفة من الكهان والأحبار ولا تشرك فيها الأمة برأى فى اختيار الحاكم وتقرير الأحكام .

وهذا فى رأينا صحيح .

فمسألة الحكم فى الإسلام حق لجميع المسلمين يتولاه يصلح له وتتفق جمهرة المسلمين على صلاحه . وليس العالم بال[…] فيه إلا كالعالم بأصول الحكم فى هذه الأيام ، يختار لحاجة الجـ[…] إلى هذه الأصول ، ولا يختار لأن علمه يجعل الولاية حكراً له أو محصورا فيه وفى طائفة من أمثاله .

وليس رأى المسلمين فى صلاح الحاكم بمانع أن تكون أ[…] الشريعة التى يحكم بها من عند الله ، وكل ما يمنعه أن يد[…] « الحق الإلهى » الذى ادعاه بعض ملوك أوربة وسيلة إلى إنـ[…] حق الرعية فى الشورى والرقابة على الحكومة . وقد أبى الإسـ[…] هذه الدعوى فكانت سنته هذه مزية له بين الأديان .

وقد أوضح الدكتور طه حسين هذا المعنى فقال يرد القائلين بالثيوقراطية فى الإسلام أنهم قد يرون : « أن الحكو[…] التى كانت تحكم المسلمين فى هذا العهد إنما كانت تستمد سلطا[…] من الله ، ومن الله وحده ، لا ترى أن للناس شأنا فى هذا السلـ[…] ولا ترى أن من حقهم أن يشاركوا فيه أو يعترضوا عليه أو ينكر[…] منه قليلا أو كثيراً » .

فالواقع أن الإسلام لا يعترف للحاكم بحق إلهى يمنع النا[…] من حسابه والتعقيب على حكمه ، وهذا الذى فهمناه من كتا[…] عثمان حين رجعنا اليه ، فلا غبار فى رأينا عليه .

أما كلمة عمر عن الأموال فقد عقبنا عليها فى كتابنا « عبقرية عمر فقلنا : « إنه لم يرد فى كلامه تفصيل لهذه النية ولكن الذى نعلمه من آرائه فى هذا الصدد كان لاستخلاص ما كان ينويه . فعمر على حبه للمساواة بين الناس كان يفرق […] بين المساواة فى الآداب النفسية والمساواة فى السنن الاجتماعية ولم تكن المساواة فى أدب النفس عند عمر مما ينفى التفا[…] بالدرجات ، ولم يكن يرضيه كذلك أن يعتمد الفقراء على الصدقا[…] والعطايا ، ويعرضوا عن العمل واتخاذ المهنة ، فكان يقول لهم [فى] خطبه : يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين . وكان يو[…] الفقراء والأغنياء معا أن يتعلموا المهنة ، فإنه يوشك أن يحتا[ج] أحدهم إلى مهنة وإن كان من الأغنياء … فيسوغ لنا أن نف[…]

من هذا جميعه ممى ما انتواه من أخذ فضول الغنى وتقسيمه بين ذوى الحاجة ، وهو تحصيل بعض الضرائب من الثروات الفاضلة وتقسيمها فى وجوه البر والإصلاح » .

* * *

هذا مجمل رأينا فى سؤال الأستاذ الوهاب .

وقد تلقينا كتباً أخرى فى هذا السياق يسأل كتابها عن مواطن فى كتاب عثمان لا نرى حاجة إلى تفسيرها ، لأن إنعام النظر فى الكتاب نفسه يغنى عن ذلك التفسير .

على أننا نعتقد أن الذين يستقبلون كتاب عثمان بمثل هذا النقد لم يظلموه كما ظلمه المقرظون له بلسان التزلف والدهان ، فإنهم يقولون فيه ما لا يقوله إلا عاجز عن التقدير الصحيح . وهو كاف لإعطاء الكتاب حقه من الثناء .

فهؤلاء العجزة عن التقدير الصحيح يزعمون أن الفتنة الكبرى لم تبحث على قواعد التاريخ أو على قواعد السنن الطبيعية قبل كتاب عثمان .

ومن جرأة الجهل أن يصدر مثل هذا الادعاء فى هذه السنوات على التخصيص ؛ لأن هذه السنوات قد ظهر فيها كتاب مسمى عبقرية الإمام ، طبعت منه طبعات قبل ظهور كتاب عثمان ، وترجم إلى اللغات الشرقية ، وانتشر فى جميع الأقطار الإسلامية ، وقرأه عشرات الألوف من أقصى المشرق الإسلامى فى الهند إلى أقصى المغرب الإسلامى فى مراكش وإفريقية .

وفى هذا الكتاب كلام عن الفتنة الكبرى التى برزت فى أيام عثمان ودامت إلى قيام الدولة الإسلامية .

وقد وصف عصر عثمان فقال : « إنه هو العصر الذى تكون فيه المجتمع الإسلامى بعد نشأة الدولة الجديدة ، فبرز فيه نظام جديد على أساس الثروة المجلوبة من الأقطار المفتوحة ، وعلى أساس الولايات التى تولاها بعض الطبقات المرشحة للرئاسة من العلية وأشباهها » .

وأحصى الكتاب أسباب التذمر سبباً سبباً فقال فى مسألة الثروة : « كثر المترفون من جانب وكثر المتربون من جانب آخر ، وشاع بين الجانبين ما يشيع دائماً فى أمثال هذه الأحوال من الملاحاة والبغضاء » .

وقال عن قلق أبناء الولايات : « إن المتذمرين توافدوا من الولايات إلى المدينة مجندين وغير مجندين ، وتولى زعامة المتذمرين فى بعض الأحيان جماعة من أجلاء الصحابة كتبوا صحيفة وقعوها وأشهدوا فيها المسلمين على مآخذ الخليفة » .

وقال عن التنافس بين العواصم « إن التنافس كان على أشده بين العاصمتين الحجازيتين وبين الكوفة ، لا يرضى أهل المدينة بما يرضى أهل مكة ، ولا يرضى أهل الكوفة بما يرضى هؤلاء وهؤلاء » .

وقال عن أثرة قريش : إن قبائل البادية « كانت تنفس على قريش غنائم الولاية ومناصب الدولة وينظرون إليهم نظرتهم إلى القوى المستأثر بجاه الدين والدنيا وحق الخلافة والسطوة » .

وقال عن طبقات المسخرين « كان العبيد والموالى والأعراب المحرومون حانقين متبرمين لا يرضون عن حظهم من العيش بعد أن علمهم الإسلام حقوق المساواة وشرع لهم شريعة الإنصاف » .

وقال عن جمهرة القراء والحفاظ وأصحاب النسك والفقه والشريعة : « إنهم خلق كثير يعدون بالألوف ويتفرقون فى الحواضر والبوادى ولا يزالون كأنبياء بنى إسرائيل منذرين متوعدين ساخطين على ترف المترفين » .

وقال إن أبا بكر وعثمان كانا يمسكان الصحابة بالحجاز ويحذران منهم أن ينطلقوا فى الأرض فيقبلوا على الدنيا ، وأن عثمان أهمل هذه السياسة الحكيمة وشق عليه أن يطيل حبسهم بالحجاز والهيمنة عليهم بجواره .

وقال غير ذلك مما لا يخرج عنه سبب واحد من أسباب الفتنة ، ولخصها كلها فى مرجع واحد وهو افتراق عهد الخلافة وعهد الملك ، وأن الموقف كان فى خلافة عثمان « ملتبساً ... متشابكا ؛ لأنه كان نصف ملك ونصف خلافة ، أو كان نصف زعامة دينية ونصف إمارة دنيوية . فوجب أولا أن يتضح الموقف بينهما وأن يزول الالتباس عن قلق صريح ، ووجب – وقد زال الالتباس وتقابل الضدان اللذان لا يتفقان – أن يبلغ الخلاف مداه ، ولن يزال قائماً حتى تكتب الغلبة لمبدأ من المبدأين وحكم من الحكمين » .

هذا بعض ما جاء فى عبقرية الإمام من أسباب الفتنة الكبرى

وبعض ما تردد فى صفحات الكتاب كله فى تفسير تلك العوارض الاجتماعية .

فن الجرأة التى لا توصف إلا بأنها جرأة الجهل ، أن يحاول غمر من الأغمار ستر هذه الحقيقة عن الأعين ، وهى تعد بعشرات الألوف .

ونحن لا يعنينا الأمر ، لأنه لا يضير كتابنا عن عبقرية الإمام ؛ فإن عبقرية الإمام لا يحجبه كلام يلغط به غمر من الأغمار .

ولكننا ننبه إليه ؛ لأن سكوتنا عنه يعد عجيباً جداً فى هذا الزمن وفيما بعد هذا الزمن ، ولأن قحة الجهل خليقة أن تزجر ، ليتعلم الجهلاء كيف يكتبون حين يريدون الثناء على مؤلف من طراز كتاب عثمان .

فهذا الكتاب من مؤلفات العصر التى يستطيع الناقد الخبير أن يثنى عليها ولا يقول فيها إلا حقاً . فإذا لجأ إلى الباطل فى الثناء عليه فإنما يسىء إلى نفسه ويسىء إلى الكتاب : يسىء إلى نفسه ، لأنه يفضح عجزه ؛ ويسىء إلى الكتاب ، لأنه يرى الناس أنه محتاج إلى الباطل ليظفر ببعض الثناء .

عباس محمود العقاد

٢ - الحمـــــادون الثلاثة

للدكتور جـــواد على

وروى الرواة قصة حماد التى ذكرناها بشكل آخر قابل للتصديق موافق للعقل ، فلم تدخل إليها المبالغة على الطريقة التى رأيناها فى قصته مع هشام وردت فى كتاب « العقد الفريد » بهذه الصورة :

جلس الوليد يوما وجارية تغنيه ، فأنشدت الوليد :

قينة فى يمينها إبريق .

فاستنشده حماد الراوية ، فقال :

ثم نادى ألا اصبحونى فقامت قينةٌ فى يمينهـــا إبريق

قدّمته على عُقار كعين الديك صفى سلافه الرّاووق

حرة قبـــل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق [1]

(١) العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى حـ ٥ ص ٢٢١ بتحقيق محمد سعيد العريان .

وهى نفس الحكاية كما رأيت غير أنها دون مبالغا ولا تهويل ، كما أن الخليفة الذى حدثت معه هذه الحكاية هو الو وليس الخليفة هشام وهو أمر مقبول معقول يجوز صدوره الوليد ، ولم يذكر بهذه الرواية عن أمر استدعائه شيئا .

وفى « الأغانى » قصة أخرى مصدرها « حماد » والخا صاحب القصة هو الوليد ، وردت على هذه الصورة :

كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر :

أما بعد فإذا قرأت كتابى هذا فسرّح إلىّ حماداً الراوية أحبّ دابة من دواب البريد وأعطه عشرة آلاف درهم يتهيأ .

قال فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إلى، فقلت السمع والطاعة فقال يا دُكين ، مُر شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم ، فأخذ فلما كان اليوم الذى أردت الخروج فيه أتيت يوسف بن فقال يا حماد ، أنا بالموضع الذى عرفته من أمير المؤمنين ، ولـ مستغنياً عن ثنائك . فقلت اصلح الله الأمير « إن العوان لا الخمرة » وسيبلغك قولى وثنائى . فخرجت حتى انتهيت إلى الو وهو بالبخراء ، فاستأذنت عليه فأذن لى ، فإذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان أصفران : إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ، و عنده معبد ومالك بن أبى السمح وأبو كامل مولاه ، فتر حتى سكن جأشى ، ثم قال أنشدنى :

أمن المنون وريبها تتوجع فأنشدته حتى أتيت على آخرها [1]

ولا تستبعد حكاية طلب الوليد لحماد فقد كان « حماد » المقربين للوليد ، وقد كان يقصده عند الحاجة فيحصل على هد ثم يرجع كما كان يجالسه ويدخل مجلسه [2] . وكان الوليد إلى الشعراء والأدباء وأهل الفن . ويجوز أن يكون فيما ذ عن « يوسف بن عمر الثقفى » مبالغة إذ لم تكن صلاته بالو على الصورة التى ذكرها « حماد » : كان على العكس مقربا له طيلة مدة حكم « الوليد » إلى أن قتل ، فغضب عليه « يزيد وعزله عن العراق ثم قتل بعد ذلك سنة ١٢٦ للهجرة [3] .

كان حماد شيطاناً خبيثاً ماكراً يستطيع استخراج ما القلوب . وكان يمضى وقته فى الداعبات والمهاترات وقول الش

(١) الأغانى حـ ٢ ص ٢١٠

(٢) Ensy' of Oalam' Vol H' p 1177 '

(٣) ابن خلكان نمرة ٨٠٣ ، ابن الأثير حـ ٢ ص ٢٢٤

جاء في العقد الفريد : إنه كانت في أبي عطاء السندى لثغة قبيحة ، فاجتمع يوماً في مجلس بالكوفة فيه حماد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وبكر بن مصعب ، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : ما بقي شيء إلا وقد تهيأ في مجلسنا هذا . فلو بعثنا إلى أبي عطاء السندى ؟ فأرسلوا إليه فأقبل يقول مرْحبا ، مرْحبا هيا كم الله . وقد كان قال أحدهم : من يحتال لأبي عطاء حتى يقول جرادة ، وزج ، وشيطان ؟ فقال حماد أنا ، فقال يا أبا عطاء ، كيف علمك باللغز ؟ قال هسن ، يريد حسن ، فقال له .

فما صفراء تكنى أم عوف كأن سويقتيها منجلان

قال زرادة ؟ فقال أصبت ؟ ثم قال :

أتعرف مسجداً لبني تميم فويق الميل دون بني أبان ؟

قال في بني سيتان ، فقال أصبت ، ثم قال :

فما اسم حديدة في الرمح ترمى دون الصدر ليست بالسنان

فقال زُزّ ، فقال أصبت (١)

وكان حماد كسائر أهل الكوفة يفضل « الأعشى » على شعراء الجاهلية . قال يحيى بن سليم الكاتب :

بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حماد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء ، فأتيت باب حماد فاستأذنت وقلت : يا غلام ! فأجابني إنسان من أقصى بيت في الدار فقال من أنت ؟ فقلت يحيى ابن سليم رسول أمير المؤمنين . قال ادخل رحمك الله ! فدخلت أتسمّت الصوت حتى وقفت على باب البيت فإذا حماد عريان على فرجه دَستجه شاهسفرم ، فقلت إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس ، فقال نعم ، ذلك الأعشى صناجها (٢)

وهذه القصة على ما يخيل إلى هي من وضع رواة الكوفة الذين كانوا يتعصبون للأعشى على سائر الشعراء ويقدمونه على الجميع ؛ وإلا فقد كان بوسع الخليفة استدعاء الراوية إليه واستطلاع رأيه وأخذ الدليل . وكان أهل الكوفة يتعصبون للأعشى نكاية بالبصريين الذين كانوا يتعصبون لامرئ القيس (٣)

والظاهر أن العباسيين لم يكونوا يعطفون عليه حتى ولا أعوانهم مثل أبي مسلم الخراساني ، بل كان الراوية يخاف منهم ويبتعد عنهم كلما استطاع ذلك . كالذى جاء في حديث حماد عن استدعاء أبي مسلم الخراساني له حيث يقول : أرسل إليّ أبو مسلم ليلا ، فراعني ذلك ، فلبست أكفاني ومضيت ، فلما دخلت عليه تركني حتى سكن جأشي ، ثم قال لي ما شعر فيه أوتاد ؟ قلت من قائله أصلح الله الأمير ؟ قال لا أدرى . قلت فمن الجاهلية أم شعراء الإسلام ؟ قال لا أدرى . قال فاطرقت حيناً أفكر فيه حتى بدر إلى وهي شعر الأفوه الأزدى حيث يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتادُ

فإن تجمع أوتاد وأعمدة يوماً فقد بلغوا الأمر الذى كادوا

فقلت هو قول الأفوه الأزدى أصلح الله الأمير ، وأنشدته الأبيات ، فقال صدقت ، انصرف إذا شئت ! فقمت ، فلما خطوت الباب لحقني أعوان له ومعهم بدرة فصحبوني إلى الباب ، فلما أردت أن أقبضها منهم قالوا لابد من ادخالها إلى موضع منامك فدخلوا معي ، فعرضت أن أعطيهم منها شيئاً فقالوا لا نقدم على الأمير (١) . ثم من يدرى فلعل الخوف هو الذى أوحى إلى حماد الراوية بهذا الشعر الذى لا يمكن نظمه إلا من رجل حضرى على طراز حماد ، أو لعل القصة موضوعة من أساسها إن أردنا أن نذهب مذهب الشك في أكثر أقوال حماد .

والظاهر أن إعراض العباسيين عن « حماد » الذى كان يلتجئ إلى الأمويين هو الذى حمله على مغادرة « بغداد » في أيام المنصور بعد أن وفد إليها يلتمس الرزق في قصور خلفاء بني العباس . والظاهر أن الحظ كان قد ابتعد عنه وظل يبتعد عنه ولا سيما في أيام المهدى عدو الزنادقة اللدود . وكان حظ أكثرهم مثل حظ حماد . ويقال إنه سافر بعد ذلك من الكوفة إلى البصرة حيث كانت له هنالك عصابة ثم عاد بعدئذ إلى بغداد . ولكنه وجد إعراضاً من المهدى ومطاردة فاضطر إلى مغادرة العاصمة إلى أن توفى عام ١٥٥ أو ١٥٦ أو ١٥٨ للهجرة (٢)

(١) العقد الفريد جـ ٣ ص ١٧٨ وما بعد .
(٢) الأغاني جـ ٩ ص ١١٠
(٣) في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ص ٢٠٣

(١) العقد الفريد جـ ٦ ص ١٥٨
(٢) ابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٧ ، الأغاني جـ ٣ ص ٨٠

مسكين حماد ! كان شاعراً مجيداً من الشعراء المجيدين . وكان ذكياً شاطراً ما فى ذلك شك ، وكان حافظاً ما فى ذلك شك أيضاً ؛ غير أنه لم يستغل ذكاءه ولم يستعمل مواهبه فى قول الشعر فكان كصاحبه خلف الأحمر ينظم باسم الغير ، ويقول الشعر ثم ينسبه إلى القدماء . ولذلك كان يجد فى ذلك رواجاً أكثر من رواج النظم المنسوب إلى نفسه ، وهو رجل يريد أن يعيش وأن يتنعم ؛ ولكن ما ضره لو نسبه إلى نفسه ؟ ألم يعش كثير من أترابه الشعراء على حساب شعرهم !

لقد كان خلف الأحمر أحسن منه حظاً ولا شك ، فقد حفظ الرواة عنه ما لم يحفظوه عن حماد ، وذكروا عنه ما لم يذكروه عن زميله حماد . ولم نجد فى الكتب من أخبار حماد غير اليسير مع كل المبالغات التى رويت عن محفوظه من الشعر ، لقد ذهبت معه إلى القبر فقبرت معه إلى أبد الآبدين .

والعادة كما يقول العوام أن تطول رجل الإنسان بعد الموت ؛ غير أن رجل حماد ظلت قصيرة ، فلم يتبار الناس فى رثائه ، ولم يعبأ إخوانه على ما يظهر لوفاته ، إنهم لا يقيمون وزناً إلا للأحياء ؛ أما الأموات فإلى اناس آخرين ، فلم يرد مما قيل فى رثائه غير ما رثاه به عبد الأعلى بن عبد الله بن خليفه أبو يحيى محمد بن كناسة بقوله :

لو كان ينجى من الردى حذر نجاك مما أصابك الحذر
يرحمك الله من أخى ثقة لم يك فى صفو وده كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفنى العلم فيه ويدرس الأثر (١)

وحماد هو الذى جمع السبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس (٢) والتى يقال لها « الملقات السبع » . جمعها من قصائد كثيرة واختارها من بين الشعر الجاهلى اختياراً ، والتى قيل عنها إنها كانت قد كتبت بالذهب وعلقت بالكعبة . والتى شرحها جماعة من الشراح . والتى جاء عنها فى « جمهرة أشعار العرب »

« وقال المفضل القول عندنا ما قاله أبو عبيدة فى ترتيب طبقاتهم وهو أن أول طبقاتهم أصحاب السبع معلقات وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفه ابن العبد . قال المفضل هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب بالسموط ومن زعم غير ذلك فقد خالف جمهور العلماء .. » (١) وقد أورد أبو زيد محمد القرشى أسماء الطبقات الأخرى مثل المجمهرات والمذهبات .. الخ . (٢)

ويرى المستشرق « نولدكه » أن اسم « السموط » ، الذى أوحى إلى مخيلة الرواة بوضع تلك القصص عن المعلقات السبع وعن تعليقها فى جوف الكعبة دون دليل قائم ولا حجة مقنعة ، مع أن رواة السيرة والمغازى لم يذكروا عند بحثهم فتح مكة من أمر هذه المعلقات شيئاً كما أن الحديث النبوى لم يتعرض لها . وهذا ما يجعلنا نشك فى صحة ما ورد من روايات .

الدكتور جواد على

---

(١) ابن خلكان ج ص ٢٠٧

(١) جمهرة أشعار العرب . Cod. Berlin. Sqrenger .

(٢) noldike, Beitrage njur Kenntniss der poesie der dten Araber, Hannover, 1864 P, xx.

٢ - غاندي الصـوام

للأستاذ حسين مهدي الغنام

من أقوال غاندي المأثورة قوله: « إن المواطن الذي يريد أن يخدم وطنه، يجب عليه أن يحتفظ بجسده وعقله طاهرين، حتى يجعل من نفسه أداة صالحة لخدمة هذا الوطن. والإنسان الذي يخدم السلم والإنسانية، عليه ألا يتجه في نضاله إلى الأشخاص، بل عليه أن يحارب النظم الفاسدة ويستأصل روح الشر التي تسيطر على بعض الناس ».

وكان هذا الرأي دستور غاندي في حياته، ومبدأه ومذهبه الملـقي الذي نادى به، ثم اعتنقه عملياً وأداه بنفسه في حياته، وعمل على نشره في العالمين ...

فلما بدأ حركة العصيان المدني أمر أتباعه أن يتخلوا عن كل متاعهم الدنيوي، ويهبوا أنفسهم لخدمة غرضهم الأسمى، ويتطهروا روحاً وجسماً ويتهيأوا لمحاربة الشر الكامن في الإنسان، حرباً روحية بلا عنف أو قسوة

وبدأ الرجل حركته الجديدة. وتبعه مريدوه وتلامذته.

ولكن إحدى تابعاته ضلت، فانقطعت عنهم واحداً وعشرين يوماً، عادت بعدها تستغفر زعيمها، فاستيقن من صدق توبتها، وعزم أمره على شراء خطاياها بالصوم واحداً وعشرين يوماً ...

وهكذا بدأ غاندي سياسة الصوم، التي تتلخص فيها فلسفته!

والذي قاله السردار إقبال علي شاه عن قوة غاندي الروحية وتأثيرها على الهنود، صحيح في جملته. وكان سلاح الرجل الوحيد ذلك السلاح الهادىء الذي لا يحدث صوتاً ولا فرقعة، سلاح الصوم، والصوم يعني الإنسانية المثلى والصبر والقناعة والرضى.

وكان هذا السلاح ذا تأثير عظيم في الهنود، بل لم تكن مجموعة من القنابل الذرية بكافية لأن تهز ملايين الهنود كما يزلزلها صيام ذلك الشيخ الهندوكي الواهن الجسم.

كان التنبئيون والروحيون من الهنود يقدرون لزعيمهم أنه سيعمر ما بين ١٢٥ و ١٣٣ عاماً. وكان غاندي يعتقد مثل هذا الاعتقاد. ولكنه قبل اغتياله نذر أن يصوم حتى الموت إذا لم ينفذ الهندوس ماطلب منهم في صالح المسلمين واتحادهم معاً.

ولطالما عمد غاندي إلى الصوم الذي كان أشد أسلحته، فكان هذا الصوم يقف الاضطرابات الطائفية في بلاده، فتنقلب دعوات البغضاء إلى أغاني حب. وكان يتلافى الأزمات الحادة التي كانت تجر الخراب والدمار على الملايين، ويهدىء الأعصاب والثورات، ويحفظ اتحاد الهنود، وينقذ أرواح الملايين، بهذا السلاح الضعيف القوي، الذي برع فيه فكان يفل عزائم الأبطال ...

ولقد هدأ غاندي ثورة كلكتا مرة، بأن صام، ففعل صومه ما لم يستطع فعله ٥٥ ألف جندي لم يستطيعوا حفظ السلام في مقاطعة البنجاب.

وكان غاندي، أشهر صائم في العالم، لا يشجع غيره على تقليده في الصوم بلا روح.

لما أفطر بعد صومه الخامس عشر الذي استغرق ١٢١ ساعة قال لأبناء وطنه: « في هذا العصر المقلد بلا تمييز ولا شعور، أحذركم وأقول إنه لمن الغباء من أي شخص آخر أن يفعل مثلي وينتظر نتائج سريعة، فستذهب آماله وآلامه هباء، فإن للصيام مؤهلات قاسية يجب أن تتوفر في القائم به، إذ يجب أن يكون صاحب عقيدة صادقة في الله، وأن يكون صومه بدعوة من الله ودعاء له. وبهذا يكون للصوم أثره ونتائجه التي أدى من أجلها وقبل أن يؤدى يجب أن يمهد له بتمهيدات طويلة، فلا تدعو إنساناً ما أن يقوم إذن بهذا الصيام مالم يكن مستعداً له استعداداً قلبياً خالصاً ... إنه ليس مجرد تقليد ».

وقبل سنين طويلة كتب غاندي عن الصيام فقال: « إن الصيام نظام قديم قدم آدم. وكان يتخذ إما وسيلة لتطهير النفوس وإما لغايات نبيلة أو رذيلة. ومن قبل صام بوذا وعيسى ومحمد حتى يتمكنوا من رؤية لله وجهاً لوجه. إن الصيام قطعة من كياني، وإني أعتنق به، لأنه وسيلة كل باحث عن الحقيقة »

وقد كتب طبيب غاندي الذي كان يعني به أيام صيامه،

وهو الدكتور روى : « أن الصيام عند غاندى عقيدة دينية . فقد كان يبدؤه بالصلاة ، ثم يختتمه بالصلاة ، كما كان فى أثناء صومه — طال أم قصر — يبدو كأنه متصل بقوة روحية عليا »

وقبل أربع وعشرين سنة صام غاندى ٢١ يوماً فى دلهى ، لكى يربط بين الهندوس والمسلمين . ثم صام لنفس الغرض فى كلكتا هذا العام ، وقد أدى صيامه إلى نتائج طيبة ، كما صام فى سبتمبر الماضى فى ثانية المدن الكبرى فى الكومنولث الإنجليزى ، وكانت الإضطرابات بين الطوائف تهددها وتهدد أهليها بالدمار والفناء ، وأدى صومه إلى نتيجة عظيمة ، حتى سمى هذا الصوم معجزة كلكتا ..

وبدأ غاندى صيامه التاسع عند ما اعتقل أثناء الحرب الماضية فى (ڤيلا) أغا خان فى پونا ، ثم رفض عرضاً بريطانياً باطلاق سراحه إذا أنهى صومه ، وقد أطلقوا سراحه عام ١٩٤٤

ولقد لعب غاندى دوراً عظيما فى جميع الحادثات التى أدت إلى استقلال الهند فى أغسطس من العام المنصرم ، فأعلن قبل تحقيق حلم حياته الذهبى بأيام قلائل ، إنه اعتزم أن يعتزل السياسة ، واصطحب معه حسين السهروردى — الزعيم المسلم المعروف — وعاشا فى أكثر أحياء كلكتا اضطراباً وشغباً ، ثم بدأ فى أول سبتمبر صومه حتى يعود إلى كلكتا عقلها !

وقد أنهى صيامه بعد أربعة أيام حينما بدأت قوة (بوليس) شمالى كلكتا صيامها لمدة أربع وعشرين ساعة ، مشاركة للزعيم وكان فى تلك القوة ضباط أوربيون وانجليز وهنود كثيرون .

وفى السادس من سبتمبر الماضى ، قبل أن يغادر غاندى كلكتا ، أخبر المصلين معه أنه إذا أقلق سلام كلكتا مرة أخرى ، فليس أمامه إلا الصوم حتى الموت ...

وفى الثالث عشر من يناير هذا العام ، بدأ صيامه إلى أجل غير معلوم ، ليحقق اتحاد الهندوس والمسلمين . وعندئذ أرسلت الهند والباكستان ، مندوبيهما إلى (ليك سكسس) ليقدموا إلى مجلس الأمن وجهات أنظارهما عن ولاية كشمير ، ولكن المهاتما قال إنه لا شأن لصيامه بأعمال الأمم المتحدة .

وفى الثانى عشر من نفس الشهر ، عندما وقعت حكومة الهند ورؤساء أحزابها تعهداً بتحقيق شروط غاندى السبعة التى اشترطها عليهم فى صالح المسلمين ، أنهى صومه ، وكانت مدته ١٢١ سا

ثم قال : « لا أستطيع أن أعتقد فى استحالة الصداقة والأخ بين الهندوس والمسلمين والسيخ والمسيحيين واليهود والفارسـ فإذا تحطمت هذه الصداقة التقليدية تحطم الشعب الهندى كله وإذا تحقق هذا العهد ، فانى أؤكد لكم أن تحقيقه سينعش قو وسيضاعف ابتهالى إلى الله ، وسيعيننى هذا على أن أحيا بـ حياتى قرير العين ، مؤدياً للانسانية الخدمة التى فرضتها على حـ اللحظة الأخيرة من حياتى ، التى يقدر لها بعض المتنبئين أ ستكون ١٢٥ سنة ، ويقول البعض الآخر بل ستكون ١٣٣ عاما

ومن حوادث صومه الطريفة ، صومه الذى قام به مشار (أپاشد تواردهان) الذى رفض أن يقوم بعمل (الزبال) فى سجـ (يرفادا) ، ورفض كذلك أن يمس أى طعام حتى لا يقوم بعم الكناس كما أمر ، فصام ، وصام غاندى معه ، وهنا خشيـ السلطات على حياة الزعيم فأعفت (أپاشد) من أوامرها ، وه أفطر الرجلان ....

وكان من ثمرات صيامه الطيبة ، صومه ضد الحكم الذ تبع محادثات ماكدونالد سنة ١٩٣٢ ، ضد المنبوذين ، وهم أحـ الهنود حياة وأشدهم فقراً ، فكان من نتائج هذا الصوم أ تفتحت أبواب المعابد الهندية الضخمة للمنبوذين ، ومنذ ذلك اليوم صاروا يعرفون باسم (الهاريجان) وهى تعنى أحباب الله

وفى الخامس والعشرين من يونيو سنة ١٩٣٤ حاول شخص مجهول أن يلقى قنبلة على غاندى فى پونا ، فأخطأته ولكنها أصابـ سبعة أشخاص . وكان لهذا العمل الإرهابى أثره ، فبعد أسبوعيـ استعمل أحد أنصار قضية (الهاريجان) العنف فى التعبير عـ اعتقاداته فى مقاومة الهندوس ، فصام غاندى سبعة أيام ليشعـ هذا الخاطىء بخطيئته .

وقد قال الپانديت نهرو مرة عن المهاتما : « لشد ما كا غاندى لغزا غامضاً محيراً ، ليس للحكومة الإنجليزية وحدها بل لشعبه أيضاً ، بل لأقرب المقربين إليه من أنصاره ومريديه

ثم قتل هذا اللغز البسيط المعقد ، الذى لم يفهمه أحد حـ فهمه ، فقضى شهيد اتحاد الهند ، وشهيد الإنسانية فى هذا العصـ المادى المضطرب ، ولكنه مات ميتة نبى ... والأنبياء — كما قيـ

قديماً — غرباء فى أوطانهم ، بل فى العالم ، لأنه لا يفهمهم فى حياتهم فهماً صحيحاً ...

ولقد قتل غاندى قتلة دنيئة — وهو ذاهب للصلاة — بيد أحد أبناء وطنه ودينه ، فمات ميتة الأنبياء الشهداء الغرباء فى أوطانهم .

ولكن العالم كله عرف غاندى ، وأن لم يدن بمبادئه ، مع اعترافه بها ، إلا أنه يتخبط فى طريقه إلى تحقيق أهدافها العليا وهى أهداف كانت منذ الأزل وما برحت رسالة الأنبياء والشعراء والمرسلين .

حسين مهدى الغنام

على نفسها جنت براقش

للاستاذ نقولا الحداد

صرنا فى هذه الأيام نسمع قول بعض الساسة أنه إذا لم ينفذ تقسيم فلسطين فهيئة الأمم تفقد هيبتها . أجل تفقد هيبتها من غير شك . ومشروع التقسيم لن ينفذ على الإطلاق ، وهيئة الأمم ستفقد هيبتها حتماً ؛ ويكون موتها فجأة لا كموت جمعية الأمم المرحومة ، لأن هذه كانت مريضة بالسل وهيئتنا مريضة بالذبحة الصدرية . فبنوبة أخرى تقضى نحبها .

من اللوم على هذا المصير الفادح ؟

هيئة الأمم نفسها ملومة . وعلى نفسها جنت براقش .

لأنها لم تكن محكمة للقضاء العادل كما كنا نظن ، بل ظهر لنا أنها كمحكمة صلح ، لا تقضى بين محتكمين بل تحاول مصالحة العرب واليهود مصالحة قهرية . ولكنها مصالحة مستحيلة ، لأنه ما من أحد فى الدنيا يصالحك على بيته وأنت تحتله عنوة وتعمد إلى اقتسام شطر منه وليس لك فيه حق لا أولا ولا آخراً .

أجل لم تكن هيئة الأمم محكمة قضاء ولا محكمة صلح ؛ بل كانت سوقاً للمساومة على المصالح الشخصية على حساب صاحبها . فالإنصاف لا يمكن أن يكون رائدها بتاتاً . بل كانت ساحة مناوأة بين الدول ذوات المصالح التى كانت تتذرع بالمسألة الفلسطينية إلى اقتناص أغراض اقتصادية واستراتجية ونحوها .

وقد رأينا فى عرض قضية فلسطين فى هيئة الأمم كيف كانت هذه الأغراض تتبارى بلؤم ودناءة . فلكى يرقى شخص واحد لا عبقرية له إلى كرسى الرئاسة يستغيث باليهود القابضين على زمام الدعاية . وقد ساعده مركزه الوقتى فى كرسى الرئاسة على أن يضغط على بعض الدول الصغيرة بالوعود والوعيد لكى يصوتوا مع التقسيم ، فأطاعوا كما يطيع صبيان المدارس . ولما كسب مشروع التقسيم الأكثرية ظن الصهيونيون أنهم امتلكوا نصف فلسطين وأنهم سيمتلكونها كلها ثم يمتلكون جميع البلاد العربية من النيل إلى الفرات . فصاروا يرقصون فى الشوارع . ولكن ما لبث هذا الرقص أن تحول إلى مناحات .

والغريب العجيب المدهش أن اليهود والذين انحازوا إلى جانبهم لم يفكروا فى كيفية تنفيذ هذا المشروع السخيف بل ظنوا أنهم بمجرد صدوره يصبح العرب أمام أمر واقع وأن العرب يسلمون حالا ويخنعون . وما عتموا أن رأوا أن دون التنفيذ خرط القتاد . وأن الأمر الواقع هو العكس .

تطاولوا على العرب كما تطاولوا على الإنجليز . ولكنهم ما لبثوا أن رأوا أن العرب لا يستخذون لهم كما يستخذى الإنجليز بل كالوا لهم الصاع صاعين . فجزعوا وجعلوا يستغيثون بالقوة الإنجليزية لكى تحميهم من العرب .

أين السبعون ألف هاجانة الذين طبلوا للعالم بهم ؟ لم يظهر من السبعين ألفاً سبعون صعلوكا . وأخيراً اعترفوا فى الأسبوع الماضى أن عندهم ثلاثة آلاف وخمس مئة ، وسيجندون عشرة آلاف آخرين ثم ١٥ ألفاً ! هذا ما يدعونه الآن وهم كاذبون .

وهكذا على الرغم من انفضاح كذبهم ما زالوا يخدعون العالم بقوتهم الوهمية وبضعف العرب الذى يزعمونه . فلماذا إذن يستغيثون بهيئة الأمم وبمجلس الأمن وبأمريكا كلها لكى ترسل لهم قوة بوليسية لكى تنفذ التقسيم ؟ وماهى وظيفة الهاجاناه إذن ؟

ولكن ليس لمجلس الأمن بوليس دولى ليقوم بدور التنفيذ . وما من أميركى أو غير أميركى يبعث إلى فلسطين لكى يوطد دولة يهودية . وما من أحد ممن صوتوا لقرار التقسيم يتجاسر أن يطلب من دولته أن تساهم بقوة عسكرية لتنفيذ التقسيم . بل إن

كلا منهم يقول : لقد أعطيناكم أصواتنا . أفلا تكفى ؟ والآن تطلبون جنودنا أيضاً ! ما هو فضلكم على البشرية ؟ حكمنا لكم بنصف فلسطين . فخذوه إن كنتم قادرين .

إنى أراهن على أن مجلس الأمن لا يستطيع أن يحصل على جندى واحد لكى يرسله إلى فلسطين لأجل زرقة عيون الصهيونيين وشقرة وجوههم وصفرة شعورهم . كما إنى أراهن على أن لجنة الدول الخمس لن تأتى إلى فلسطين لكى تنفذ التقسيم . لأنه ما من أحد منهم بائع دمه جزافاً لأجل خاطر كوهين ولينى وشارول وأضرابهم .

إن الصهيونيين الماكرين خدعوا ترومان وأمثاله من أنصار التقسيم بأكاذيبهم فى جرائدهم ودعايتهم لكى يوهموا أن عندهم سبعين ألفاً من الهاجانة وكذا ألوفاً من الإرهابيين مدججين بالسلاح الحديث ، وأن العرب تنقصهم الشجاعة والسلاح والإنفاق فلا يمكن قرار التقسيم حتى يخروا ساجدين مستسلمين للأمر الواقع .

طالما طبلوا وزمروا بهذه الدعاية حتى تجاوبت أصداؤها فى أقاصى الدنيا ، وصدقهم سذج الأميركان وعلى رأس قائمة الساذجين السيد ترومان فانحازوا إلى جانبهم . وقبل أن يجىء دور التنفيذ رآهم أولئك المنخدعون يستغيثون طالبين النجدة .

فى أثناء كتابة هـــذه المجالة ينعقد مجلس الأمن للنظر فى القضية . ولا يلبث أن يقع فى حيص بيص لا يدرى ماذا يفعل فيها لأنه يدرك أن التنفيذ لا يمكن إلا بإرسال قوة عسكرية . وهو ليس عنده من القوة ظلها . وزد على هذا أن الخواجة ترومان هرب إلى جزر الكاريبى لكيلا يمشى فى جنازة المشروع ولا يرى النائحين اللاطمين وقد أدرك بعضهم هــذه الخيبة فرأى أن يتداركها باقتراح تأجيل القضية عسى أن تمكن تسوية الأمر بين العرب واليهود بطريقة ودية . رأى سخيف مضحك . ما أسخف منه إلا رسالة ترومان إلى حكومة العراق يناشدها بأن ترد العرب عن اليهود فى هذا الصراع الرهيب .

أنا أدرك هذا المخدوع أن اتفاق اللصوص معه على سرقة منزله أسهل جداً وأمكن من اتفاق العرب واليهود . أنا علم حتى الآن أن العراق وكل دولة عربية تحسب نفسها ضاماً من فلسطين .

ايست هيئة الأمم ومجلس الأمن والحكومة الأميركية أقل حيرة فى هـذه القضية وأقل ارتباكا من الصهيونيين الذين رأوا أنفسهم الآن أمام أمر واقع عكس ما كانوا يتوقعونه . لم يخدعوا العالم بأكاذيبهم وتهويلهم أكثر مما خدعوا أنفسهم . هم الآن فى ورطة لا يدرون كيف يخرجون منها .

لقد عرضوا فى أول الأمر على بريطانيا أن تحسب دولتهم من جملة الدومنيون التابعة لها ، يعنى أن تجعلهم تحت حمايتها . فظهر أن انكلترا لم تطمئن لمعاملة اليهود فنفرت من اقتراحهم هـذا ثم جعلوا يتقربون إلى روسيا . ولـكن هـذه السياسة الخرقاء لا تجوز على بريطانيا وأميركا ولا على روسيا .

لم يبق فى قوس الصبر منزع . لقد جنت على نفسها براقش وقد وقعت الحرب بين العرب والصهيونيين فلم يعد فى وسع هيئة الأمم ولا مجلس الأمن ولا أميركا ولا دول أوروبا الصغيرة أن تنقذهم من براثن العرب الأشاوس .

مهما تكن نتائج مساعيهم ومساعى أحبابهم فقد استل السيف من غمده ولا يمكن أن يغمد فى غمده ثانية إلا بأحد أمرين : إما أن يقاتلوا حتى يفنوا ويبقى العرب أهل بلادهم لا شركاء لهم فيها أو أن يرجعوا قانعين بالسلامة .

وأما أن يقترحوا اقتراحات متوسطة أو يأملوا أن يكونوا وطنيين فى الحكومة العربية المستقلة ذات السيادة فلم يعد العرب يقبلون اقتراحات كهذه . لقد خسروا القضية فخير لهم أن يرحلوا وإن قبلت الحكومة الفسطينية بقاءهم فلا يعتبرون فلسطينيين لهم ما للشعب الفلسطينى بل يعتبرون غرباء عن البلاد .

كل يوم تذيعون أن مالاً يجمع لكم من أميركا فهما وفر هذا المال المزعوم المكذوب فلا يكفيكم لأن الألف التى تكفى المجاهدين العرب تحتاجون مقابلها إلى مليون ، فلا تهولوا بملايينكم .

أنتم فى الشرق لا تبلغون مليوناً . والعرب يبلغون ثلاثين مليوناً على الأقل . فقبل أن يفنى من العرب ألف يكون مليونكم قد فنى . فعودوا إلى رشدكم وارحلوا قبل أن تفنوا .

نقولا الحداد

٣ ـ فن المسرح

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

ربما يكون من المناسب — قبل أن استطرد فى حديثى عن القيم المسرحية — أن أناقش ما أثاره الأستاذ (رمزى خليل) من خلاف حول قولى (بالعدد ٧٥٩) : إن البانتوميم والميم فنان رومانيان إذ قال (بالعدد ٧٦٠) ما نصه : « ... إن اليونان عرفوا هذين النوعين بل إن أشهر ممثليهما هو بيلادس الممثل اليونانى المعروف وإذن يكون هذان الفنانان يونانيين وليسا رومانيين » .

وقد كان من الممكن أن أحسم هـذا الخلاف بنقل عبارة تكاد تكون مشتركة فى شتى المعاجم الأدبية بصددهما وهى : (Purely Roman Creation أى ابتداع رومانى بحت) ولكنى أوثر أن أنساق مع حجة الأستاذ المعترض إلى أقصى ما تحمله من فروض . وقبل كل شىء أبادر فأوافقه على أن بيلادس ممثل يونانى .. ولكن ما العلاقة الحتمية بين جنسية الممثل وبين الفن الذى يمثله ؟ ألا يجوز أن تمثل (الفرقة المصرية) رواية فرنسية ثم يظل الممثلون مصريين وتظل الرواية فرنسية ؟ لو أن بيلادس هو الذى ابتدع البانتوميم والميم ابتداعاً لجاز أن نجد مبرراً ، وإن كان بمفرده ضعيفاً ، لعزوهما إلى جنسه . أما وهو مجرد ممثل من جهة وهناك من هو أشهر منه — كما سنوضح بعد — من جهة ثانية ومقر تمثيلياته روما من جهة ثالثة وشهرته قاصرة على البانتوميم وحده دون الميم من جهة رابعة . فكيف يتأتى لنا إذن أن ننسبهما معاً إليه ؟! وحتى لو فرضنا أن هـذا الممثل بالذات ابتدع فناً ما — أى فن — لما صح أن نعزوه إلى « اليونانية » إلا بتحامل شديد ؛ لأن المصطلح عليه فى الآداب والفنون القديمة أن العصر اليونانى أو الهلينى ينتهى بانتهاء الكلاسيكية اليونانية فى أواخر القرن الرابع ق . م ثم يبدأ العصر الهلينستى مزدهراً فى المدرسة الاسكندرية التى حملت لواء النهضة العلمية والأدبية بعد أثينا . ثم تزدهر روما بانتقال النفوذ السياسى إليها ويمتد عصرها الأدبى من منتصف القرن الثانى ق . م . إلى القرن الخامس ب . م تقريباً . فإذا عرفنا بعد ذلك أن بيلادس بلغ أقصى شهرته فى فن البانتوميم حوالى عام ٢٠ ق . م . أدركنا بسهولة أن عصر بيلادس كله واقع فى العصر الرومانى الأدبى .

ومع هذا فإنه من المستحسن أن نتحدث بإيجاز عن كل من البانتوميم والميم زيادة فى التعريف بهما وشرحاً لما قد يكتنفهما من غموض أو غرابة .

(البانتوميم) لون من ألوان التمثيليات ابتدعته روما لمجرد « التسلية » وتستمد موضوعاته من الأساطير غالباً . وبينما تنشد الجوقة أناشيدها يؤدى الممثل دوره برقص معبر يعتمد على الحركة لا أكثر . وقد زاد الممثل اليونانى بيلادس الذى أسلفنا ذكره عدد أفراد الأوركسترا زيادة كبيرة ؛ وهذا هو مصدر شهرته . وكان للروايات مناظر مناسبة ، ولكن لم يزد عدد الممثلين عن ممثل واحد فقط يكون بمختلف الأدوار مستعيناً على أداء كل منها بالتقنع بقناع خاص به . ويعتبر باثيلس Bathyllus أشهر ممثل البانتوميم [1] وقد بلغت شهرته إلى حد أن اسمه صار يطلق على كل من يمثل هذا اللون .

أما (الميم) فقد عرفه الدوريون والسيرا كوزيون فى حالة ساذجة . ويعد هيروداس (٣٠٠ — ٢٥٠ ق . م .) من أبرع واضعيه . وإلى هنا لا يمكن اعتباره فناً بالمعنى الصحيح بل لا يعدو أن يكون تصويراً تهكمياً لبعض حوادث الحياة اليومية العادية فى المدن مقصوداً به « تسلية » الجمهور بين فصول الروايات التمثيلية ، وقوامه الحركة المعبرة بمصاحبة الآلات الموسيقية وأهمها (الفلوت) وبغير كلام إطلاقاً . ثم ظل يتطور إلى أن صار فناً فى القرن الأول ق.م. منذ استطاع لاريس Laberius وبوبليليس Publilius أن يتخذاه وسيلة هامة من وسائل النقد اجتماعياً وسياسياً [2] . ومما يجدر ذكره أن البانتوميم أدى إلى انحطاط التراجيديا ، وكذلك أدى الميم إلى انزواء الكوميديا .

ويعزى شيوع هذين الفنين بين الرومان إلى أن مجتمعهم كان مكوناً من طبقتين : قلة ضئيلة مثقفة مؤمنة بعظمة التراث الإغريقى وتحاول تقليده ... وكثرة عابثة تنشد التسلية ولا تحس بصلة بينها وبين ذلك التراث الغريب عنها . فاتجاه الفئة الأولى نحو الإغريق باعد بين الجماهير والأدب فأصبحوا يكرهون التراجيديا ويفضلون عليها الملاهى بصفة عامة . وانتهى الأمر بأن

(١) معجم الأدب الكلاسيكى — طبعة أكسفورد .
(٢) دائرة المعارف البريطانية .

هجروا المسارح التى تقدم مسرحيات يونانية مترجمة أو مقتبسة إلى دور تمرض البانتوميم والميم[1].

وأظن أن فى هذا الكفاية ولا بأس من العودة إلى حديثنا المعتاد

المسرح وقيمته الاجتماعية

الفن المسرحى فن اجتماعى الغاية والوسيلة معاً . فهو بواسطة مجتمع مصغر فوق المسرح يصور للمجتمع الكبير فى الحياة : نزواته ونزعاته وميوله تصويراً يبرزله عيوبها ويحضه على إصلاحها. وقد تكون لبعض الفنون الأخرى علاقة مباشرة بالمجتمع ولكنها على الأرجح لا تستطيع أن تجارى المسرح فى معالجة مشكلاته ؛ لأنها إما أن تتناولها من بعيد بالإيحاء والرمز فلا تفيد الجماهير أو بالشرح والتفصيل فتبعث الملل فضلا عن أنه بهذا وذاك تتعارض غالباً مع أصول الفن فيها . أما المسرح فانه بطبيعته الفنية يقوم على تمثيل « الفعل ورد الفعل » فى صورة تتفق مع مجتمع إنسانى ، بمعنى أن أشخاص الرواية يجسمون المشكلات بشتى نواحيها تجسيما لا يلزم معه شرح أو إسهاب . وبهذا يتاح للمصلح الاجتماعى فى المسرح ما قد لا يتاح له فى سائر الفنون . وإنه لمن المعجز أن نجد بالاستقراء بين شتى الفنون فى شتى العصور فناً أوثق صلة بالمجتمع من المسرح . بل أكثر من ذلك أننا نجد أن المسرحيات تبلغ أوجها كلما حافظت على هذه الصلة وتهوى إلى الحضيض إذا أغفلتها مهما كانت الظروف والاعتبارات . فبالرغم من أن مسرحيات أرستوفانيس مثلا كانت أرستقراطية النزعة إلا أنها نجحت فى المجتمع اليونانى الديموقرطى لأنها كانت مستوحاة من ذلك المجتمع ذاته . وعلى النقيض أخفقت الروايات الرومانية التى يطلق عليها Palliata أو أخفق معظمها . ولو أنها كانت مستمدة من التراث اليونانى المظيم وذلك لأن هذا التراث على عظمته التى لا شك فيها لم يكن معبراً عن العواطف الجياشة فى المجتمع الرومانى وتكاد تكون الصلة الوثيقة بين المجتمع والمسرح أهم الالتزامات الواجب مراعاتها في التأليف المسرحى لضمان نجاحه . وصحيح أن نجاح أو إخفاق المسرحيات يرجع — إلى حد كبير — إلى براعة المؤلف ؟ لأن الصور المسرحية النهائية لما تطور داخلى خاص خاضع له . ولكن الشىء الذى لا جدال فيه أن هذا التطور ذاته يتأثر وينفعل ويتفاعل مع التغيرات العامة التى تطرأ على المجتمع .

من هنا نرى بل يشترط بعض النقاد على المؤلفين ضرو استيحاء المجتمع الذى يعيشون فيه حتى فى الروايات التاريخية ا تدور حوادثها فى الماضى السحيق ولا تمت إلى حاضرهم بص مباشرة . وأغلب الظن أن هذا هو ما حدا بمؤلف مسرحى عظ مثل برنارد شو إلى استهلال روايته التاريخية (قيصر وكليوباتر ببداية تدور حول المجتمع الإنجليزى الحالى ! إذ يخرج الا حورس من الظلام ويحدث الجمهور عن الإنجليز وعقائدهم وخصاء منددا متهكما عليهم مقارنا فى ذلك جميعاً بين الإنسان الحا والإنسان فى العصور القديمة مستنتجاً من ذلك جميعاً أن الإنسا لم تتقدم منذ عصر قيصر إلى الآن إلا تقدماً آلياً لا ينبغى يؤبه له ما دام لا يصاحبه التقدم المنشود فى المشاعر والإحساسا

وقد يقال إن ارتباط المسرح بالمجتمع هكذا يجعله « تابعاً خاضعاً له وبذلك يفقده قوته الإصلاحية المزعومة ! ولا جدال أن هذه التبعية حقيقة ملحوظة بل إنها غير مقصورة على النوا الفنية والأدبية . فالناحية الاقتصادية أيضاً لا يمكن تجاهلها إذ المسرح يخضع إلى أبعد الحدود لقانون العرض والطلب ولذا يحاول — ما وسعه — أرضاء الجماهير ولو على حساب الف أحيانا ، حتى لقد جاز لناقد كبير مثل وليم آرتشر أن يطال المؤلفين « بأن لا يضعوا شيئاً جوهرياً فى المنظر الأول من الفص الأول من مسرحياتهم » لغير ما سبب سوى أن الجماهير م طبعها التلكؤ . وقلما تصل إلى مكان العرض فى موعده المحد أى لسبب لا علاقة له بصميم الفن .

فكيف يتسنى للمسرح أن تكون له قوة إصلاحية وه خاضع على هذا النحو للجماهير التى كثيراً ما تثور على كل إصلاح الواقع أنه على الرغم من كل هذه الاعتبارات وعلى الرغم من كل فن مقيد بقيود مختلفة بالمجتمع إلى حد ما فليس هناك ؛ يمكن أن يخلص من أكبر عدد ممكن من هذه القيود م المسرح لسبب صغير جداً هو أن فى أوضاعه من المرونة والجاذ ما يهيئ للمؤلف المسرحى البارع الفرصة لبث آرائه بسهولة ومهما تكن مخالفة لعقائد المجتمع ، فكثيراً جداً ما يستطي بالإفصاح والإيضاح والإلحاح أن يتغلب فى النهاية . إذن فحر المسرحى ليست منعدمة كما أنها ليست مطلقة ولا مفر له من يعمل فى حدود ممكنات الفن ومزاج المجتمع ولكن البراعة اللازمة بينهما . ومهمته هذه فى غاية الدقة والمشقة . فليس أع

(١) محاضرات الدكتور وهيب كامل

هل تملك تحريم تعدد الزوجات؟

للأســـتاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

— ٣ —

الاعتراضات ما زالت متوجهة

فى تعقيبى السابق على حديث معالى الباشا وجهت إليه جملة اعتراضات فصلت القول فى بعضها واجتزأت بالاشارة إلى باقيها ، وقد حاول معاليه — فى بحثه الأخير دفع كل منها بما لا مقنع فيه ، وهاك البيان .

٩ — الاعتراض الأول . أن معاليه قد أغفل فى رأيه الوارد فى حديثه والنصوص القرآنية التى استدل بها لهذا الرأى قوله تعالى . (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) هذا النص الذى هو تتمة الآية التى جعلها معاليه مناطاً لتأييد رأيه ، وهى قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) وأن عمل معاليه فى أغفال هذا النص الذى هو موطن الحكم الصحيح فى هذا الموضوع كعمل من يستدل على تحريم الصلاة بقوله تعالى « فويل للمصلين » ضاربا صفحا عن باقى الآية .

وقد حاول الباشا دفع هذا الاعتراض من ناحيتين : ناحية الشكل حيث قرر أن القياس مع الفارق وأن الشأن فى إغفال النص الذى أغفله معاليه يختلف عن الشأن فى إغفال باقى آية (فويل للمصلين) وسواء أكان ما قرره معاليه فى ذلك أو ما قررته أنا صحيحاً فلا أحب أن أضيع الوقت فى مناقشته فى هذه النقطة الشكلية البحت . وحسبى أن معاليه قد أقرنى ضمنا فى رده على أن للنص الذى أغفله وهو جزء متمم للآية التى استشهد بها شأناً أى شأن فى الوضوع الذى كان بصدد الإدلاء عن رأيه فيما هو حكم الشرع فيه ، بدليل تسليمه بأنه موطن الحكم فى الآية كلها (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا) وإن كان اعتبره حكما موقوتاً ، وبدليل احتياجه فى محاولة دفع ايراده عليه إلى تكلف ما تكلف من افتراض حدوث محن وأمور بين العرب عند نزول آية (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) وهو ما رد به على الاعتراض من ناحية الموضوع مستدلا بذلك فى الوقت نفسه على صحة رأيه وقد بسطنا القول فى ذلك وفى الرد عليه فى كلامنا السابق عما استدل به معاليه للعنصر الثالث من رأيه .

١٠ — الاعتراض الثانى . إذا كان المولى سبحانه قد عنى بالآيتين اللتين استشهد بهما معاليه بمجرد تحريم التعدد ، ففيم كان الأخذ والرد باباحته فى إحداهما التعدد بشرط العدل ، ثم بتقريره فى الثانية أن العدل غير مستطاع إطلاقا ، وتوزيع المعنى بذلك بين آيتين وكانت آية واحدة تجزئ فى تحريم التعدد وبيان علته وهى عدم استطاعة العدل الواجب .. وفيم التعبير بمثنى وثلاث ورباع؟!

وقد أجاب عن ذلك بما سبق أن أشرنا إليه من تأويله عبارة (مثنى وثلاث ورباع) بما لا تحتمله ولا يناسب المقام ولا سياق النص ؛ وقد فندنا هذا التأويل فيما تقدم بما فيه الكفاية فلا حاجة إلى تكراره هنا .

كما أجاب أيضاً محاولا دفع مايشوب النصوص — على أساس تأويله — من الأخذ والرد وتوزيع المعنى بغير مقتض ، بما سبق أن أشرنا إليه فى التمهيد من أن المولى سبحانه أراد ألا يجابه العرب

للمجتمع من المسرحيات ذات الآراء الإصلاحية ولكن بشرط أن تتصل به اتصالا ناعماً ليناً رفيقاً وتفتح له الطريق سهلا ممهداً وتنيره له إلى حيث تهدف فى رضى وطمأنينة .

والمجتمع فى مراحل تقدمه لا يكاد يذكر فضل فن عليه كما يذكر فضل المسرح ؛ فسرحيات موباسان وأمثالها فى فرنسا ، ومسرحيات جوزيف أديسون وأمثالها فى انجلترا ، ومسرحيات تولستوى وأمثالها فى روسيا ، هى من أهم العوامل التى انتشلت المجتمع الأوروبى من نزعات المجون التى كانت مستولية عليه فعلا . وقل مثل ذلك عن شتى المسرحيات قديماً وحديثاً فى أغلب النهضات الاجتماعية

على أن المجتمع الإنسانى فى العالم كله لم يكن فى حاجة إلى المسرح فى وقت من الأوقات كما هو الآن . فقد سببت له الحرب الأخيرة ومشكلاتها ونتائجها كثيراً من الاضطرابات التى غيرت القيم وحجرت العواطف وألقت فى روعه حب المال واقتناص الفرص . ومثل هذه الانحرافات لا يكفل علاجها غير المسرح لأنه أقدر الفنون بتحليل أسبابها الدفينة وإظهار المجتمع عليها وبذلك يمهد له إعادة بناء مقوماته الصحيحة ويساعده — كما يقول هيكل — على استرداد قوة التنسيق بين العقل والشهوات وبين الفطرة والشذوذ .

للبحث بقية

عبد الفتاح البارودي

دفعة واحدة بحكم تحريم التعدد الذى كان من عاداتهم المتأصلة « فتدرج » معهم فى هذا الحكم كشأنه فى كثير من الأحكام الواردة لمعالجة نقائص العرب بطريق التدرج . فتحداهم أولا بما يبيح — فى ظاهره التعدد بشرط العدل ثم أبان لهم بعد ذلك أن العدل غير مستطاع اطلاقاً .

وردنا على هذا الوجه من الدفع أن ما ذكره ليس من قبيل « التدرج » فى الاحكام ؛ إذ التدرج فيها — كما هو مفهوم اللفظ بداهة وكما وقع فعلا بالنسبة للاحكام الواردة حقيقة على طريقة التدرج كحكم الخمر مثلا — هو إتيان الشرع بحكمين أو أكثر منتقلا من التخفيف إلى التشديد ، والوارد فى التعدد من أول الأمر على رأى معاليه — حكم واحد هو التحريم لأن العدل فى ذاته غير مستطاع . ويؤيد ذلك ما افترضه معاليه نفسه من اضطراب النبى والمسلمين وتململهم وجأرهم بالشكوى عند نزول الآية الأولى لعلمهم أن العدل فى ذاته غير مستطاع اطلاقاً مما استجاب له المولى — فى رأى معاليه أيضاً — بتخفيف الحكم بالآية الثانية بجعله العدل المطلق غير مشروط فى الزوجات الموجودات فعلا وقت النزول ، فلولا أنهم فهموا الحكم من أول الأمر على أنه التحريم لما تململوا وجأروا بالشكوى . فليس ثمة إذن تعدد أحكام تدرجت إلى حكم أخير . أما التعديل الوارد للحكم فيما يرى معاليه فليس تعديلا دائماً بل موقوتا . وهو تعديل إلى التخفيف لا إلا التشديد ، فأين التدرج إذن ؟

١١ — الاعتراض الثالث . أن أحاديث كثيرة قد وردت بأمر النبى لمن كان تحته من الصحابة أكثر من أربع زوجات عند نزول الآية الأولى ؛ بالابقاء على أربع منهن ومفارقة الباقيات كما وردت أحاديث أخرى مختلفة الألفاظ وتؤول كلها إلى معنى واحد هو أنه عليه السلام طلب من ربه ألا يلومه على اجتزائه بما يملك من العدل المستطاع بين زوجاته دون العدل المطلق مما يدل على أن الأول هو المراد بالعدل المشروط لجواز التعدد .

وقد رد معاليه على الأحاديث الأولى بأنها تفضى إلى الظلم بتشتيت بعض الزوجات اللاتى كن موجودات من قبل وما قد يكون لهن من أطفال مما يعتبر اعتداء على الحقوق المكتسبة فلا يعقل أن تأتى به شريعة سماوية أو وضعية .

ولو أن معالى الباشا ناقشنى فى اسناد هذه الأحاديث — والأمانة العلمية تقتضينى أن أصرح بأن فى أسناد بعضها مقالا من رجال الأسناد — لقلت له وجهة نظر وإن كانت مدفوعة كما سأبين ذلك فيما يلى ، لكنه اقتصر على مناقشتى فى المتن ، فأجيبه عن ذلك بأن ليس فيما ذكره ظلم ولا اعتداء إذ لم يطالب إلى الرجال سوى استعمال ما لهم من حقوق سابقة فى التطليق الذى كانت الزوجات معرضات لوقوعه عليهن قبل ورود الشرع بتحديد التعدد . فأين هو الحق المكتسب لهن إذن مع وجود حق الطلاق للرجال ؟ وإذا قيل إن الطلاق وإن كان حلالا فهو أبغض الحلال كما وردت بذلك السنة فلا ينبغى أن يستعمل إلا عند وجود مسوغاته ، رددت على ذلك بأن فى مقدمة المسوغات وضع حد لعلاقات دمغها الشارع بالفساد ، بتحريمها ، ومهما بلغت درجة البغض فى الحلال فهى لا تنتقل به إلى مرتبة الحرام ، ففى الأمر باستعمال هذا الحق ارتكاب أخف الضررين مما يتفق وعمومات الشريعة . ثم أن شأنهن بعد الطلاق كشأن سائر المطلقات فى احترام حقوقهن المتخلفة عن الزواج السابق وإمكان التزوج بهن فى نطاق أحكام الشرع ، كما أن أطفالهن لا يظلمون بفقد شىء من حقوقهم على آبائهم بل تظل لهم كافة الحقوق كما كانت قبل الطلاق . فما هو الظلم فى ذلك ؟

على أن ما يجرى فى أوامر النبى المتقدمة يجرى أيضاً فى أوامره الخاصة بباقى من ورد الشرع بتحريم ما كان معروفاً من نكاحهن فى الجاهلية ، كزوجات الآباء والأختين المجموع بينهما ، وقد وردت الأحاديث بأمر النبى بالتفريق فى هذه الحالات أيضاً ؛ فهل يرى معالى الباشا أن هذه الأحاديث مفضية بدورها إلى الظلم مما لا يمكن معه الاطمئنان إلى صحتها ؟

ورد معاليه على النوع الثانى من الأحاديث رداً مسهباً عن زوجات النبى عليه السلام وظروف زواجه بكل منهن ، وانتهى إلى أن التعدد كان من خصوصيات النبى التى ابتلاه بها ربه جل وعلا فلا محل للاستشهاد بالأحاديث الواردة عنها ، وأن النبى لم يكن مكلفاً فيما يختص بزوجاته الموجودات وقت نزول آية التعدد إلا بما كلف به سائر المسلمين حينذاك من وجوب مراعاة « العدل المستطاع » بل أنه رفع عنه هذا التكليف مراعاة لظروف ابتلائه وذلك بقوله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) .

(البقية فى العدد القادم)

إبراهيم زكى الدين بدوى
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

طرائف من العصر المملوكي :

صفي الدين الحلي
في بلاط بني أرتق

للأستاذ محمود رزق سليم

قد نشعر في هذا المقال أننا نبعد عن ديار مصر والشام وهما محور الحديث في العصر المملوكي ، وأننا نيمم شطر ديار أخرى هي ديار بني أرتق بماردين وديار بكر . ولكنا مع هذا لانزال في صميم العصر . فإن الشاعر صفي الدين الحلي من أجل شعرائه، وكان هو وجمال الدين بن نباتة فرسي ميدان فيه ، لايشآهما شاعر آخر من رجال حلبتهما . فإذا تحدثنا عن صفي الدين وعلاقته ببني أرتق فإنما نتحدث عن خاصة بارزة من خواص أحد شعراء العصر ، وعن وشيجة أثيرة من وشائجه كان لها أثر كبير في أدبه

وحقاً ولد صفي الدين بالحلة بالعراق عام ٦٧٧ هـ ويبدو أنها « حلة بابل » التي عناها بقوله بعد انتزاحه عنها وعن قومه فيها إلى ملوك الدولة الأرتقية :

ألا أبلغ — هديت — سراة قومي	بحلة بابل عند الورود
ألا لا تشغلوا قلباً لبعدي	فإني كل يوم في مزيد
لأني قد حللت حمى ملوك	ربوع عبيدهم كهف الطريد

ثم انتزح إلى المملكة الأرتقية وطوف في آفاق الديار الحلبية والشامية والحجازية ، ولكنه عرج آناً على مصر وأقام بها ردحاً من الزمن ، اتصل في خلاله بسلطانها العظيم الناصر محمد بن قلاوون وكاتب سره النابه علاء الدين بن الأثير ، ومدحهما ، ووصف مناظر الطبيعة المصرية وعيد فتح الخليج . وجمع ديوانه بإشارة من علاء الدين . وصفي الدين تأثر — بلاريب — بالثقافة المصرية ، وتأثر بالمدرسة الأدبية المصرية التي قدست مناهج القاضي الفاضل في الكتابة والشعر ، وقدست من بعده مناهج ابن نباتة فيهما ، وعنيت أكثر ما عنيت بالتورية والتضمين . غير أن صفي الدين مع هذا كان نسيج وحده وبخاصة في شعره ، وافتن في هذا الشعر افتناناً ليس الآن مجال الحديث عنه ، سوى أننا نشير إلى أنه سلك مسالك البديع فيه ، ولج في هذا السلوك حتى لنشعر أن ألفاظ اللغة أصبحت كالعبد رهن يديه يصرفها كيف شاء وأنى شاء . وحتى استطاع أن يكون من مبتكري فن شعري جديد هو فن البديعيات ، والبديعيات في الشعر تعادل المقامات في النثر ، بلغ بها الفن البديعي أوجه شعراً ، كما بلغ بالمقامات أوجه نثراً . وللبديعيات حديث طويل قد نعود إليه في مقال جديد . ويعنينا الآن أن نتحدث عن صلة صفي الدين ببني أرتق وأثر هذه الصلة في أدبه .

فمن هم بنو أرتق ؟ هم ملوك ماردين وديار بكر منذ أواخر القرن الخامس الهجري . وهم بقايا من الدول التي خلفتها الدولة السلجوقية الناشئة في أواخر القرن الرابع الهجري وامتد ملكها من أواسط آسيا إلى غربها ، واستولت على بغداد والعراق في نحو منتصف القرن الخامس الهجري . ثم تشققت فيما بعد وانبثق منها دويلات عدة ، كان في جملتها الدولة الأرتقية . وينتسب ملوك هذه الدولة إلى جدهم أرتق الذي كان أحد قواد السلاجقة . فملك بيت القدس زمناً ، ثم ملكها من بعده ابناه ؛ فدهمهما جيوش الدولة الفاطمية عام ٤٨٩ هـ وانتزعت منهما بيت القدس ، فسارا إلى الجزيرة الفراتية فملكا بها ديار بكر وقلعة ماردين واستقرا بها عام ٤٩١هـ . وتتابعت أبناؤهما من بعدهما حتى ملك منهم المنصور وابنه الصالح اللذان عاشا في أوائل القرن الثامن الهجري ، وهما اللذان اتصل بهما صفي الدين اتصالا وثيقاً ، وعاش في حاشيتهما زمناً طويلا .

وكان صفي الدين من قبل هذا يعيش بين قومه في الحلة . ويبدو أن العشائر العربية فيها كانت لا تزال تعلق بها أشياء من الروح القبلية والعصبية الجاهلية . وكان قوم صفي الدين فريقين : فريق أبيه بنو سنبس من طي ، وفريق أمه بنو محاسن . وكان بنو محاسن هؤلاء ذوي رياسة وثراء ومنهم (صفي الدين بن محاسن) وأخوه (جلال الدين بن محاسن) . نشأ الشاعر بين هؤلاء وهؤلاء ، فأحس بما لقومه من عراقة في الأصل وفراهة في الحسب فحميت نفسه ودونها الشباب فنشط شعره في باب الحماسة والفخر ورباً عن التكسب بالشعر . ثم وقعت الوقيعة بين أخواله ، وآل أبي الفضل ، فغدروا خاله « صفي الدين » وقتلوه بمسجده ، فثارت

ثائرة قومه وفي مقدمتهم شاعرهم صفي الدين الذي أهاب بخاله « جلال الدين » أن ينتقم . وما زالوا حتى أوقعوا بأعدائهم وأمعنوا فيهم كيداً وإذلالا ، فكان هذا ضراماً جديداً لحماسة الشاعر وفخره .

ويبدو أن الشاعر لم تهدأ ثائرته ، ولم تثب أناته ، ولم يقنع بهذا الانتقام ، فظل يؤلب قومه على أعدائهم ويغرى بين الفريقين نار العداوة والبغضاء حتى أصبح شجى في حلوق الأعداء ، وأصبحوا يتلمسون منه مقتلا . فدلكه الخوف ، فآثر الفرار .

فر صفي الدين إلى بني أرتق يتطلب في كنفهم ملجأ يأوى إليه ، ودرعاً يستجن بها فأجاروه وأكرموا مستقبله ، واستمعوا لحديثه ، وأصغوا لشكاته . وعرفوا مكانته ووهبوا له الكثير من النعم ؛ مما ألهج لسانه بشكرهم ، وأبهج بيانه بذكرهم ، ونظم في مديحهم أجود القصيد وأخلده استجابة لداعي الوفاء والولاء .

قال يمدح المنصور وإجارته له .

وأجارني إذ حاولت دمى العدا	ورأت شفاء صدورها من ورده
من كل مذَّاق تبسم ثغره	وتوقدت في الصدر جذوة حقده
ولذاك لم يرني بمنظر شاعر	تبغى قصائده جوائز قصده
بل بامرئ أسدى إليه سماحه	نعما فكان المدح غاية جهده

هذه الأبيات من قصيدة له في مدح الملك الصالح بن المنصور تغزل في مطلعها فقال :

دبت عقارب صدغه في خده	وسعى على الأرداف أرقم جعده
وبدا محيـاه ففوق لحظه	نبلا يذود بشوكه عن ورده

ومنها يمدحه :

الصالح الملك الذي صلحت به	رتب العلاء ولاح طالع سعده
ملك حوى رتب الفخار بسعيه	والملك إرثا عن أبيه وجده
متسهل في دست رتبة ملكه	متصعب من فوق صهوة جرده
فإذا بدا ملأ العيون مهابة	وإذا سخا ملأ الأكف برفده
كالغيث يولى الناس جودا بعدما	بهر العقول ببرقه وبرعده

وهكذا يرى القارئ كيف انساق صفي الدين إلى المديح وإلى التكسب بالشعر وهو الذي يقول : « وكنت عاهدت نفسي ألا أمدح كريماً وإن جل ، ولا أهجو لئيماً وإن ذل » .

ولعل أول مدائحه للملك المنصور قافيته التي يقول فيها :

لاقيتنا ملقى الكريم لضيفه	وضممتنا ضم الكمى لسيفه
وجعلت ربعك للمؤمل كعبة	هي رحلة لشتائه ولصيفه
يا من إذا اشتبه الصواب أعاره	رأيا يخلص نقده من زيفه
وإذا أتى أرض العدو فوحشها	من وفده ونسورها من ضيفه الخ

انضم صفي الدين إلى حاشية الملك المنصور وبنيه ، وأصبح من سمارهم وجلسائهم ثم أصبح شاعرهم الأثير ، يفيضون عليه بصنوف من النعم ، حتى حسده على مكانته أهل ديار بكر . وفي ذلك يقول مخاطباً المنصور :

حسدت أهيل ديار بكر منطقي	فيها كما حسد الهزار اللقلق
أعيت أكابرهم أصاغر لفظها	ولربما أعيا الرخاخ البيدق
جاءوك باللفظ المعاد لأنني	غربت في طلب الغريب وشرقوا
لهم بذاك جبـلة جبلية	ولنا عراق والفصاحة معرق
ما كنت أرضى بالقريض فضيلة	لكن رأيت الفضل عندك ينفق
قالوا خلقت موفقاً لمديحه	فأجبتهم أن السعيد موفق

هكذا كانت منزلة صفي الدين عند بني أرتق . وكلما زادوه برا زادهم شكرا ، وكلما جادوه عطاء جادهم بقاء ، وكلما آثروه وقربا آثرهم حباً، وكان لذلك أثره الكبير في إنتاجه الأدبي ؛ إذ نظم عدة من القصائد في مدح المنصور سميت « المنصوريات » وهي من أجود آثاره الأدبية : ونظم تسعاً وعشرين قصيدة مرتبة على حروف الهجاء سميت « الأرتقيات » . وكأنما أراد بهذه الأرتقيات أن يطلع مليكه على ضرب من فن النظم الشعري جديد، وعلى منزع من منازع الشعر لم يحم حوله شاعر من قبل ليدله بذلك على ثبات قدمه في صناعته ، وعلو كعبه في حرفته ، وعلى امتلاكه ناصية الافتنان إلى حد الافتتان .

والأرتقيات بعدد حروف الهجاء فلكل حرف قصيدة . فواحدة همزية وواحدة بائية وهلم جرا ... والتزم أن يبدأ كل بيت في القصيدة بحرف رويها ، وأن تكون عدة أبياتها تسعة وعشرين . وقد يكون هذا الالتزام كله من عبث الصناعة ومن عبث الفراغ . ولكن إذا علمنا أن الشاعر قل أن سقط في بيت منها ، بلغنا به حد العجب وشهدنا بمجادته وإجادته بالرغم من كل هذه القيود التي تعلق بها .

والأرتقيات — وإن كانت مسوقة للمدح — بدت مسرحاً لفنون غير المدح عدة ، كالغزل والخمريات ، والفخر والشكوى .

ومن رقيق أبياتها ما صدر به أرتقيته الكافية حيث قال :

كفى القتال وفكي قيد أسراك	يكفيك ما فعلت بالناس عيناك
كلت لحاظك مما قد فتكت بنا	فمن ترى في دم العشاق أفتاك

كفاك ما أنت بالمشاق فاعله ... لو أنصف الدهر في المشاق عزاك
كلت أوصاف حسن غير ناقصة ... لو أن حسنك مقرون بحسناك
كيف انثنيت إلى الأعداء كاشفة ... غوامض السر لما استنطقوا فاك
كتمت سرك حتى قال فيك فتى ... شعراً ولم يدر أن القلب مهواك . الخ

لم يعش صفي الدين في الدولة الأرتقية عيش الشاعر المادح المتكسب ، بل تهذبت منزلته ، وتوطدت مكانته حتى بلغ مبلغ المشير ، وكأنما أصبحت له ضلع في سياسة الدولة وتوجيه ملوكها. تشعرنا بهذا قصائده ، فقد رفع إلى المنصور عام ٧٠٢ هـ قصيدة بارعة ، وكان المنصور قد أرسل جنوده ليحاصروا أعداءه في « قلعة إربل » ولم يرافقهم في المسير إليها . فحرضه صفي الدين في قصيدته تلك على اللحاق بهم ليشد بوجوده أزرهم ويشحذ هممهم ، ويكون خوفاً لأعدائه ، ومضطرباً لصفوفهم . ومزج في هذه القصيدة المدح بالنصح ، والتحريض الجرىء بالتأدب . واستخلص من الحوادث ما توحى به من حكم وأمثال ، مع دقة تمثيل وكثرة تشبيه ، وتنقل بالفكرة بين حججها وبراهينها ، إغراء بالأخذ بها ، ومنها يقول :

أبد سنا وجهك من حجابه ... فالسيف لا يقطع في قرابه
والليث لا يرهب من زئيره ... إذا اغتدى محتجباً بغابه
والنجم لا يهدى السبيل سارياً ... إلا إذا أسفر عن حجابه
والشهد لولا أن يذاق طعمه ... لما غدا مميزاً عن صابه
إذا بدا نورك لا يصده ... تزاحم الموكب في ارتكابه

ويقول :

قم — غير مأمور — ولكن مثلما ... هز الحسام ساعة اجتذابه
فالمبي لا تعلم إرزام الحيا ... حتى يكون الرعد في سحابه
كم مدرك في يومه بعزمه ... ما لم يكن بالأمس في حسابه

ومنها يغريه بأعدائه ويرسم له طريق معاملتهم :

لا تبذل الحلم لغير شاكر ... فإنه يفضي إلى إعجابه

ويقول :

لا تقبل العذر فإن ربه ... قد أضمر التصحيف في كتابه
فتوبة المقلع إثر ذنبه ... وتوبة الغادر مع عقابه
لو أنهم خافوا كفاء ذنبهم ... لم يقدموا يوماً على ارتكابه

ويقول في خاتمها معتذراً من التحريض ، ومتسللاً إلى الفخر بنفسه على عادته :

لم يك تحريضي لكم إساءة ... ولم أحل في القول عن آدابه
ولا يعيب السيف وهو صارم ... هزُّ يد الجاذب في انتدابه
ذكرك مشهور ونظمي سائر ... كلاهما أمعن في اغترابه
ذكر جميل غير أن نظمه ... يزيده حسناً مع اصطحابه
كالدر لا يُظهر حسنَ عقده ... إلا جواز السلك في أثقابه

ولما مات المنصور وولي الملك من بعده ابنه العادل فالصالح ، حسنت صلة صفي الدين بالصالح بعد لأى ، ومدحه بجملة من الروائع سميت «الصالحيات» . وتشعرنا هي الأخرى بسمو مكانته لدى الصالح ، بل لتشعرنا أنه كان عنده أقرب وآثر مما كان لدى المنصور حتى سماه صفي الدين ولي نعمته ، وتشعرنا أنه كان أكثر دالة عليه ، حتى كان في خطابه له أجرأ مما كان في خطابه للمنصور ويشير إلى المنصور في مدحة رفعها إلى الملك الصالح فقال مبيناً سبب مدحه بعد أن كان قد طوى بساط المدح بعد المنصور :

ولقد عهدت إلى عرائس فكرتي ... ألا تزف إلى منعم بعده
لكنك الفرع الذي هو أصله ... شرفاً ومجدك بضعة من مجده
ونجيبه في سره ووصيه ... في أمره وصفيه من بعده

ويقول منها :

لله كم قلدتني من منة ... والقطر أعظم أن يحاط بعده

ويقول :

فاستجل دراً أنت لجة بحره ... والبس ثناء أنت ناسج برده
يزداد حسناً كلما كررته ... كالتبر يظهر حسنه في نقده

وقد عاود صفي الدين النصح للصالح كما كان ينصح لأبيه من قبله ، ويحرضه على أعدائه ويلحب له الطريق إلى معاملتهم ويجنبه الحلم والعفو ، فيقول من قصيدة :

فيا ملكاً قد أطمع الناس حلمه ... لكثرة ما تهفو فيعفو ويصفح
أعد — غير مأمور — على الضد كيده ... وأذك له النار التي بات يقدح
فقد أيقن الأعداء أنك راحم ... فباءوا بأفعال الخنا وتبجحوا

ويقول منها :

تهن بعيد النحر وانحر به العدى ... لجودك عيد للورى ليس يبرح الخ

عاش صفي الدين ما عاش واتصل بغير بني أرتق من ملوك وأمراء ورؤساء ، وافتن في الشعر ما شاء له الافتنان حتى مات عام ٧٥٠ هـ بعد أن ترك أدباً خالداً وتراثاً ماجداً .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

من نوادر المخطوطات :

شرح المشكل من شعر أبي تمام

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ ﻫ

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

في أواخر سبتمبر سنة ١٩٤٦ كنت في حلب أنتظر قطار طوروس ، في طريقي إلى الموصل ، للقيام بتدريس اللغة العربية وآدابها في كلية الموصل ، فكلفني أحد الأصدقاء أن أبحث له عن بعض المخطوطات الواردة في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي ، فأصف له بعضها وصفاً علمياً واضحاً ، وأبحث عن مؤلفي بعضها مما لا وجود له في كتاب الدكتور الجلبي .

وكان من تلك المخطوطات التي كتبها صديقي في ورقة صغيرة « شرح مشكلات أبي تمام » ، وكان المطلوب وصفه والتعريف بمؤلفه . ولما بلغت الموصل ، واستقر بي المقام بها ، ذهبت أبحث عن « شرح مشكلات أبي تمام » ، فكان مما وقفت عليه :

« كتاب شرح مشكلات ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي مخطوط في ١٣٢ صفحة ، في كل صفحة ١٩ سطراً مكتوب بخط نسخي جيل بقلم محمد صالح الشريف ، ضُبط الكثير من كلماته الغريبة بالشكل الكامل . كتبت الأبيات المشكلة من شعر أبي تمام بالمداد الأحمر ، والشرح بالمداد الأسود ، للتفريق بين المتن والشرح ، فرغ من كتابة هذه النسخة في ٢٤ من المحرم سنة ١١٥٦ ﻫ

وهذا الكتاب مما أهداه السيد أحمد بك الجليلي إلى النادي العلمي بالموصل في ٢٧ من شهر صفر سنة ١٣٣٧ ﻫ ، ولما انحل النادي العلمي ضمت كتبه إلى المدرسة الإسلامية — الفيصلية العلمية الآن — وفي بعض المواضع تقييدات واستدراكات وتصحيحات لما ورد في الشرح بقلم صادق .

هذا كل ما أمكن الوقوف عليه في وصف كتاب « شرح مشكلات ديوان أبي تمام » ، وأما موضوعه فإني أفضل أن أنقل إلى القارئ، نص مقدمة المؤلف ليرى بنفسه أي كتاب هو هذا الذي نكتب عنه وهذه هي المقدمة « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم .

جاريتني — أيدك الله — أمر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وما فيه من عويص الأبيات ، وبديع المعاني والألفاظ إلى غير ذلك مما يستبديه فنه فلا يسامَ ؛ ويختص به نهجه فلا يقاسم ، ثم سألت أن اتتبع مشاهير كلامه ، فألتقط من فقرها ما يفتقر إلى تبيين ، ومن بيوتها مايحوج إلى تفسير ، ثم أتبع كلا منه بما يحتمل من تلخيص بأوجز ما أمكن من لفظ ، وأقرب ما أعرض من بسط . لنجعل ذلك دليلا يهدى إلى الأغمض من باقيه ، ومميناً يهدى إلى ألطف ما فيه .

وقد نظرت في عظم ديوانه ، وجمعت منه جل ما يلقى في المجالس من أبياته ، ثم تحريت في شرحها مسارك ، وتوخيت فيما سهل منه أو توعر تحصيل مرادك . غير محتفل بمايلحق من كد ، ولا مفكر فيما يعرض من تعب . حتى حصل على حد يملك الناظر فيه — مع أدنى تأمل له — عنان هذا الشعر وزمامه ، ويخبر الذاكر — بعد أيسر تمرن به — غرض هذا الشاعر ومهامه . فتى جارى فيه سبق ، وإذا ناضل به قرطس .

والله أسأل التوفيق ، وإياه أعبد واستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل » .

* * *

هذا هو وصف كتاب شرح مشكلات شعر ابي تمام من حيث شكله ، وهذه هي مقدمته التي تبين عن موضوعه وتشرحه ، ولكن بقي شيء آخر لم نعرفه إلى الآن وهو من هو مؤلف هذا الكتاب ؟ .

الواقع أن هذا السؤال لايزال بلاجواب إلى الآن . فاني قرأت الكتاب وتفحصت كل جوانبه وحواشيه ، فلم أجد أية إشارة إلى اسم مؤلفه ، فاخذت أسأل كل من آنس فيه المعرفة من أصدقائي ومعارفي ، فلما أعيتني الحيلة كتبت كتاباً إلى الأستاذ

كوركيس عواد الموظف بمكتبة المتحف العراق ببغداد ، أشرح له خبر العثور على هذه التحفة الفنية ، وأسأله إن كان يعرف شيئاً عن مؤلف هذا الكتاب ، فكتب إلى كتاباً مؤرخاً فى ٢٢ — ١٠ — ١٩٤٦ يقول فيه : ... أما شرح مشكلات أبى تمام ، فقد تملكنى الفرح لوقوفكم على نسخة منه . بحثت كثيراً عن هذا الكتاب ، وراجعت فهارس المخطوطات العربية لخزائن الكتب المختلفة فى بلدان الشرق والغرب ! غير أننى لم أجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، فضلا عن معرفة مؤلفه ! الخ والأستاذ كوركيس عواد رجل عرف بالدقة والأمانة فيما يتناول من عمل ، فهو عندما يقول : إنه لم يجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، يقول ذلك بعد ما استفرغ الجهد فى البحث والدرس ، ولكن هل يكون هذا مثبطاً لعزمى ، واقطع الأمل فى معرفة المؤلف ؟

وذات يوم كنا نتجاذب الحديث على شاطئ دجلة مع نفر من كرام رجال التعليم فى الموصل ، فأخبرنى الأستاذ الصديق السيد عبد النافع حكيم أنه قرأ — فيما قرأ — أن كتاب شرح مشكلات أبى تمام هو للمرزوق ، ويغلب على الظن أنه قرأ هذا فى بمقدمة أخبار أبى تمام للصولى الذى نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر فى القاهرة .

ولما رجعت إلى مقدمة أخبار أبى تمام للصولى ، وجدت أن الناشرين ذكروا فيها أن للمرزوق كتاباً باسم شرح المشكل من شعر أبى تمام ، وأن فى مكتبة الجامعة المصرية صورة شمسية من هذا الكتاب مأخوذة عن أصل محفوظ فى الأستانة .

وإلى هنا استطعت أن أمسك بأول الخيط فى سبيل معرفة مؤلف هذا الكتاب ، ولكن لا سبيل إلى المضى فى البحث أو الجزم بنسبة كتابنا الذى بين أيدينا إلى المرزوق حتى نرى نسخة الجامعة المصرية ، ونقارن بينها وبين نسختنا لنعرف هل هما كتاب واحد أم لا ؟ فلنترك هذا الآن لنبحث عن المرزوق هذا من هو؟

يقول ياقوت الحموى فى إرشاد الأريب — ج ٥ ص ٣٤ — ٣٥ — : أحمد بن محمد بن الحسن المرزوق ، أبو على من أصبهان كان غاية فى الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار . وتصانيفه لامزيد عليها فى الجودة ، وكان قد قرأ كتاب سيبويه على أبى على الفارسى ، وتتلمذ له بعد أن كان رأساً بنفسه ، وله من الكتب : كتاب شرح الحماسة أجاد فيه جداً ، كتاب شرح الفضليات ، كتاب شرح الفصيح ، كتاب شرح أشعار هذيل ، كتاب الأزمنة ، كتاب شرح الموجز ، كتاب شرح النحو ؛ ثم ينقل ياقوت عن الأبيوردى أن المرزوق كان يتفاصح فى تصانيفه كابن جنى ، وأنه كان معلم أولاد بنى بويه باصبهان ، ودخل عليه الصاحب بن عباد ، فما قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفاه .

ثم نقل عن ابن مندة أن المرزوق توفى فى ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . هذه خلاصة وافية من ترجمة المرزوق التى ذكرها ياقوت ، ونقل السيوطى فى بغية الوعاة بعض ماذكره ياقوت من غير أن يزيد عليه شيئاً .

وقد لاحظت أن كتاب شرح مشكلات ديوان أبى تمام لم يذكر فى كتبه التى أوردها ياقوت فى إرشاد الأريب والسيوطى فى بغية الوعاة .

ولما عدت إلى القاهرة فى أواخر سبتمبر سنة ١٩٤٧ سارعت بالذهاب إلى مكتبة الجامعة المصرية ، فوجدت الصورة الشمسية لكتاب شرح مشكل ديوان أبى تمام — وهو برقم (٤٨ — ٢٤) أدب معارة للاستاذ عبده عزام أحد مدرسى كلية الآداب فى الجامعة المصرية لأن الأستاذ عبده عزام يشتغل من أمد بعيد فى إخراج شرح التبريزى لديوان أبى تمام إخراجاً علمياً .

فبعثت بقطعة من نسخة الموصل لمقارنتها بالصورة الشمسية التى لدى الأستاذ عزام بواسطة الصديق الكريم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب الموظف بالقسم الثقافى بالجامعة العربية ، وظهر من المقارنة أن النسختين لكتاب واحد هو شرح مشكل ديوان أبى تمام كما ظهر أنه لا دليل على أن الكتاب للمرزوق إلا ما كتب على ظهر نسخة الآستانة .

ولكن هل تكفى هذه الكتابة التى على ظهر نسخة الآستانة لإثبات أن الكتاب للمرزوق ، مع أن مترجمى المرزوق لم يذكروا فى كتبه اسم هذا الكتاب ؟ ومما قوى

هذا الشك فى نسبة هذا الكتاب إلى المرزوقى أن صاحب كشف الظنون أيضاً لم يعرض لذكر هذا الكتاب مع أنه ذكر كتاباً آخر للمرزوقى لم يذكره مترجموه . وهو كتاب « الانتصار لأبى تمام من ظلمته » وهو — كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ص٣٢١ — كتاب ألفه المرزوقى فى الرد على كتاب لأحمد ابن عبيد الله القطربلى المعروف بالفريد أظهر فيه أخطاء أبى تمام فى الأسلوب وغيره .

أليس من الممكن أن يكون كتاب « شرح مشكلات ديوان أبى تمام » الذى بين أيدينا هو كتاب « الانتصار لأبى تمام من ظلمته ؟ » وهذا شك جديد يلقى ظله على اسم الكتاب الذى نحن بصدده غير أنى اطلعت أخيراً فى دار الكتب المصرية على كتاب « النظام فى شرح شعر المتنبي وأبى تمام[1] » لأبى البركات المبارك بن أحمد بن المستوفى الأربلى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ فوجدت أنه يذكر فى المقدمة الكتب التى اعتمد عليها فى شرح ديوان أبى تمام إلى أن يقول : « وعلى كتابى أبى على أحمد بن محمد ابن الحسن المرزوقى ، أحدهما فى شرح مشكل أبياته المفردة ، والآخر فى الانتصار لأبى تمام من ظلمته » فكان هذا نصاً صريحاً من ابن المستوفى الأربلى المتوفى بعد المرزوقى بنحو مائتى سنة بأن للمرزوقى كتابين — غير الكتب التى ذكرها ياقوت والسيوطى هما : « شرح المشكل » و « الانتصار » .

ويذكر ابن المستوفى فى مقدمة كتابه أنه ينقل فى كتابه نصوص الكتب التى اعتمد عليها فراجعت إلى كتاب « النظام » وقابلت ما نقله ابن المستوفى عن المرزوقى بالنسخة الخطية التى استنسختها عن نسخة الموصل لشرح مشكل ديوان أبى تمام ، فوجدت النصوص متحدة لا تزيد حرفاً ولا تنقص حرفاً .

وبعد فإنى — الآن — أستطيع الجزم — وأنا مطمئن القلب — بأن كتاب « شرح المشكل من شعر أبى تمام » « المحفوظ فى خزانة المدرسة الفيصلية العلمية بالموصل هو لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١هـ ، وأن لهذا الكتاب نسخة فى إحدى مكاتب الآستانة وصورة شمسية فى مكتبة الجامعة المصرية ، ونسخة أخرى مدرجة فى كتاب « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام » لابن المستوفى الأربلى .

وأرجو أن أكون وفقت بعض التوفيق فى وصف كتاب شرح المشكل من شعر أبى تمام والتعريف بمؤلفه .

برهان الدين الداغستانى

(١) هذا هو اسم كتاب ابن المستوفى الأربلى الذى شرح فيه ديوانى المتنبى وأبى تمام كما ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة ابن المستوفى والحاج خليفة فى كشف الظنون فى أثناء الكلام على شروح ديوان أبى تمام . وهو كتاب ضخم قيم جمع فيه مؤلفه عدة شروح لكل من الديوانين ، وهو ينقل نصوص الكتب التى اعتمد عليها من غير تصرف ، وهو يقع — على ما ذكره ابن خلكان والحاج خليفة — فى عشر مجلدات كبار ، وفى دار الكتب المصرية من هذا الكتاب ثلاث نسخ ناقصة تنتهى ثلاثتها عند حرف الدال من شعر المتنبى وأبى تمام ، وأولى هذه النسخ تحت رقم (٥٧١) أدب الموجود منها ثلاث مجلدات مخطوط بقلم معتاد . إلا أنه سمى فى فهرس دار الكتب المصرية — ج ٣ ص ٢١٩ — شرح المشكل ، ونسب إلى الخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ استناداً إلى ما وجد على ظهره من أنه للخطيب التبريزى ، مع أن اسم مؤلفه المبارك ابن المستوفى الأربلى واضح صريح فى مقدمة الكتاب لو أن واضع الفهرس عنى نفسه مشقة قراءة المقدمة !

والنسخة الثانية والثالثة من هذا الكتاب صورتان فتوغرافيتان مأخوذتان عن أصل مكتوب بقلم فارسى يظن أنه مكتوب فى القرن الثانى عشر الهجرى ينتهى ما فيهما إلى أثناء حرف الدال فى ٢٨٦ لوحة وكل لوحة بها صفحتان ورقمها (١٦٤٠ ، ١٠٥٩٢) أدب ، وهاتان النسختان منسوبتان إلى ابن المستوفى المؤلف الحقيقى ، ولكن اسمهما لا يزال مغلوطاً إذ بقى مثل اسم النسخة الأولى : شرح المشكل ! ..

من هي ...؟

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

أنا لا أهوى سواها ملأ القلب هواها
إن تناءت قلت: آها! أو تراءت قلت: واها!
ألهمتني الشعر سحريّ المعاني – مقلتاها
وسقتني الحب عطريّ الأماني – شفتاها
وجلت للقلب خمراً وربيعاً من صباها
فتغنى في رباها وتهادى في سناها

هي عذراء براها الله في أبهى مثالِ
فتراءت مثلما كنـ ت أراها في خيالي
وتهادت فتنة يقـ ظى بأحلام الليالي
وحواليها رؤى السحـ ر، وأطياف الجمال
ولها إشراقة النو ر، وأسرار الظلال
فهفا قلبي إليها بحنيني وابتهالي

كنت من قبل هواها حائراً بين الغواني
لا أرى الروح الذي أبـ حث عنه في زماني
ذلك الروح الذي يد عوه روحي وكياني
والتقينا فتعارفـ ـنا كأنا توءمان
ونشأنا في ربا الحب، وفي ظل التداني
وشربنا الصفو خمراً في كئوس من حنان

سألتني ذات يوم وعراها ما عراها!
من تراها ألهمتك الشعر سحراً؟ من تراها؟
قلت: يا أحلام أيامي، ويا سرّ مناها
أنت أغنية حب وأنا شعري صداها
أنت في صحراء عمري روضة طاب شذاها
وأنا البلبل يحيا شادياً فوق رباها

كل حرف في قصيدي مهجة تهفو إليك
كل لحن في نشيدي لهفة تحنو عليك
إن أفراح شبابي نبعها الساقي لديك
وصبابات فؤادي سرها في ناظريك
وأزاهير غرامي عطرها في وجنتيك
وحياتي – يا حياتي – كلها ملك يديك

سوف يبقى لك في رو حي وفي قلبي حنينُ
سوف يبقى لاسمك المحـ ـبوب في شعري رنين
قلت فيك الشعر حتى ذهبت فيك الظنون
واشتهى رؤياك أصـ ـحابي وقالوا: من تكون؟
يا صحابي: حسبكم أو صافها، فهي تبين
يا صحابي: إنها سرُّ به قلبي ضنين

مع المطر

للأستاذ إدوار حنا سعد

على نافذاتي بنان المطر تدق فتوقظني للسمر
لنا ألفة من زمان الطفو لة في صفحتيها تنام الذّكر
فتحت لها شرفتي مثلما تلاقى الحبيبان بعد السفر
تقبلني قطرات الرذاذ ويندى بها خدّيَ المستعر
وقد مال للغرب غصن الظلام ونوّر في الشرق ورد السحر

تتابع وقمك فوق الطريق شجي الرنين رتيب الخطى
غسلت الهموم ومس الموا جد عن مهجتي وأذبت الأسى
شعرت بروحي تندى كما ترف الأزاهير تحت الندى
وتورق، كالغصن إن جدته وتفرح، كالقفر بعد الظما
وتلمع مثل الطريق الجديد إذا نمت فيه، زها وازدهى

فيا ابن السمو ويا ابن الصفاء إلى عنصريك تناهى الرجاء
فلم يبق فوق الثرى – للسماء سوى نفحة من شذى الأنبياء
سوى شاعر يستشف الآله بكل جمال – خبا أو أضاء
سوى عاشق أريحي الحنين كيعقوب أو عيسوي الحياء
فيفنى بأحبابه ذاته ويعرف في الله معنى الفناء

كلانا على الأرض، ماق بها ومنبعنا من كروم السما
إذا ما تسامى بأرواحنا جناح الصفا – وهي وارتمى
فلما نزل بين تصعيدة وإسفافة، شرّدا حوما
أيكرهنا نفر في الحمى ونحن نجن هوى بالحمى
إذا جدت لم، فيا ويحكم وإن جرت لم أجد اللوما

من وراء المنظار

صـدقة تُرفض

الصباح بارد الأنفاس يلذع نسيمه الوجوه وينفذ إلى العظم ، والأرض مبتلة من أثر مطر خفيف ، وليس خارج داره بل ليس خارج فراشه إلا من يغدو إلى عمله فما يملك أن يتراخى أو يقعد .

ووقفت أنتظر إحدى السيارات العامة ، وأتنقل ببصرى فى وجوه السابلة أرى كيف يسعى الناس سعيهم فى سبيل العيش ، وكيف تقوم الحياة فى المدينة على كدح من لا يأبه لهم ، وأتبين ذلك الجد المحبوب فى خطوات الناس وفى صفحات وجوههم الصابرة الشاحبة التى محا الإشراق منها الغلاء والكدح ...

وانعطف أحد بائعى اللبن على عجلته المثقلة بصفائحه من أحد الشوارع وهو غلام فى نحو الثامنة عشرة ، فما كاد يستقيم حيث أقف حتى انزلقت به العجلة فوقعت على الأرض ، وهوى المسكين على جنبه واللبن يتدفق فيجرى على الأسفلت دفاقا ...

وخف إليه بعض السابلة فأنهضوه ورفعوا العجلة يحفظون ما بقى من اللبن ، وراح بعضهم يحوقل ، وراح البعض يمص شفتيه يظهر الأسف ، ولكن لم يخل الحال من ماجنين راحوا يصيحون من هنا ومن هناك : عليه ميّه ... عليه ميّه ! وأخذوا يضحكون فى غير مبالاة كأنما يشمتون من الغلام شماتة الواثق من أنه أضاف إلى اللبن ماء ...

وذهل الغلام عن نفسه لحظة ثم نظر إلى اللبن يجرى بين يديه ومن خلفه ، فما أحسبه والله لو أنه كان ينظر إلى دمه يجرى هكذا على الأرض ما كان يبدو أكثر مما بدا جزعاً وهلعاً ... لقد كانت ترتعد فرائص المسكين كأن بهما زلزلة ، وكأن مفاصله لا تقوى على حمله ، وكان يمسك العجلة بيد مرتجفة ويلطم وجهه بالأخرى وفى هذا الوجه صفرة كصفرة الموتى ... ثم كان يصرخ بين الفينة والفينة صرخة أشبه بصرخة الثاكلة تزفر النار على كبدها ورمض الحزن مهجتها ، وكان يلفظ لفظة من ألفاظ الثكالى يعبر بها عن ألمه ...

ورأيتنى على رغمى أمام صورة من صور الفزع الإنسانى اشمأز منها خاطرى وتحرك لها قلبى ، ففيها مع الخوف الذلة والمسكنة وما أثقل على قلبى رؤية ضعيف فى موقف الضعف فما بالك بموقف الفجيعة والخوف .

وأدخل بعضنا أيديهم فى جيوبهم ثم مدوها بما جادوا به إلى فتى نبأتنى كتبه ودفاتره أنه من الطلبة ، تولى جمع صدقة لذلك المسكين واجتمع عدد من السابلة يواسونه بكلماتهم التى كان يمجها سمعه فما فيها غناء تلقاء هذه الكارثة ... ودنا منه أحدهم وهو شاب فى ملابس العمال فقال له فى لهجة قوية . وماذا جرى حتى تفعل هذا كله ... عيب ... أسكت ... خليك جدع ... وقال المسكين : سيطردنى الخواجة فلا أجد عملا ... واقترب منه عدد من العمال وفى يد كل منهم بعض أدوات حرفته أو منديل طعامه ، وكانوا جميعاً يستشعرون العار مما يفعل ، فكانوا يطلبون إليه أن يكف وهو فى حيرة من أمثال كلماتهم ... « بلاش عبط » « خليك عاقل » و « إيه يعنى » وأضرابها لا يرى فيها حلا لورطته القطيعة ...

ونظر هؤلاء العمال إلى ذلك الطالب الذى كان يجمع الصدقة ، فارتاحت نفوسهم ، وإن بدا شىء من الخجل فى وجوه بعضهم ؛ ومشى الطالب إلى كهل بادى الوجاهة شهد الحادث من أوله ، فرجا منه أن يجود بشىء ؛ فتنكره له واحمر من الغضب وجهه ، وحار لحظة ماذا يذكر من علة للرفض ؟ ثم انفرجت شفتاه الغليظتان الصارمتان عن قوله ، وهو يشير إلى اللبن بسبابته : من غير شك دا عليه ميّه !

وضحكت ، وما كان أحوجنى إلى الضحك ساعتئذ ، فقد أثقل الألم قلبى ... ونظر إليه العمال نظرات كريهة ، ومشى الطالب إلى بائع اللبن المسكين يعطيه ما جمع له ، فما كان أشد عجبى أن رأيت أحد هؤلاء العمال يعود إلينا بتلك القروش ويطلب إلى كل منا أن يسترد ما أعطى ؛ ونظرت فإذا بهم يخرجون أيديهم من جيوبهم الفقيرة بالقروش يدفعونها للغلام المسكين ويكفكفون بها دمعه ، ومضيت وما سرى عن قلبى ما أثقله إلا ما فى عملهم هذا من مغزى : لقد رفضوا الصدقة التى صحبها الأذى وأحلوا محلها العون ، وقالوا لنا ، وإن لم ينطقوا : لسنا فى حاجة إلى عطفكم وإن كنتم إلى سعينا وكدحنا أبداً محتاجين ..

الخفيف

الأدب والفن في أسبوع

نتيجة مسابقة المجمع اللغوي :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية مساء الأربعاء الماضي في الجمعية الجغرافية الملكية ، بإعلان نتيجة المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٨ وهي كما يلي :

فاز في الشعر الأستاذ علي الجندي عن ديوان «أغاريد السحر» والأستاذ عثمان حلمي عما أرسله إلى المجمع من شعره ، وجائزة كل منهما ثمانون جنيها ؛ والأستاذ محمود حسن إسماعيل عن ديوان «الملك» والأستاذ إلياس فرحات من المهاجرين اللبنانيين بالبرازيل عما أرسله إلى المجمع من شعره ، وجائزة كل منهما سبعون جنيها .

وفاز في القصة الأستاذ نجيب محفوظ عن قصة «خان الخليلي» والأستاذ محمد سعيد العريان عن قصة «على باب زويلة» وجائزة كل منهما مائة وخمسون جنيها .

وفاز في البحث الأدبي الأستاذ علي علي الفلال عن بحث «مهيار الديلمي» بجائزة مائتي جنيه .

وقد قدم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني الشعراء الفائزين وألقى كلمة عن الشعر ، وقدم الفائزين في القصة الدكتور ابراهيم مدكور وتحدث عن فن القصة ، وألقى الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف كلمة عن البحث الأدبي وقدم الفائز فيه .

مؤتمر المجمع وقراراته :

عقد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية لسنة ١٩٤٨ اثنتي عشرة جلسة ، كانت أخراها في أواخر فبراير الماضي ؛ ومؤتمر المجمع هو الاجتماعات السنوية التي يحضرها جميع الأعضاء من أجانب ومصريين ، وتكون في أوائل السنة ، وهو غير مجلس المجمع الذي يحضره المصريون فقط ، وينعقد في غير أوقات المؤتمر ويستمر طول السنة عدا الأجازة الصيفية .

وقد ألقيت في جلسات المؤتمر هذا العام محاضرات ، منها محاضرة عن صلة اللغة العربية باللغات السامية للدكتور عبد الوهاب عزام بك ، ومحاضرة عن الاصطلاحات الفقهية للشيخ عبد الوهاب خلاف ، ومحاضرة عن نشأة المصطلحات الفلسفية للدكتور إبراهيم بيومي مدكور ؛ وعرضت عليه بحوث في الإملاء وموقف العامية من الفصحى ، والنحت ، ووصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء ، وملاحظات بين اللغة والنحو ؛ ونوقشت في هذه الجلسات طائفة من المقترحات . وقد انتهى المؤتمر إلى القرارات الآتية :

١ — اختيار الدكتور طه حسين بك والدكتور إبراهيم بيومي مدكور ليمثلا المجمع في مؤتمر اللغويين السادس ومؤتمر المستشرقين الحادي عشر اللذين سيعقدان بباريس في شهر يوليه القبل .

٢ — ضرورة شرح المصطلحات العلمية الجديدة شرحاً يوضحها ، على أن تنشر مقرونة بشرحها في الأوساط العلمية بمختلف البلاد العربية بعد إقرار المجلس لها ، وإذا ما استكملت وسائل نشرها عرضت على المؤتمر مصحوبة بتعاريفها النهائية ثم تسجل في جزازات خاصة :

٣ — الموافقة على نموذج المعجم الكبير من حيث المبدأ ، على أن يتابع السير فيه ويعد بما يتطلبه العمل من موظفين وخبراء

٤ — تشجيع دراسة العامية واللهجات المختلفة تحقيقاً لما رمى إليه مرسوم إنشاء المجمع واختيار بعض الخبراء لذلك كي يعملوا تحت إشراف لجنتي اللهجات وألفاظ الحضارة .

٥ — إحالة مشروع تيسير الإملاء إلى المجلس ، كي يبحث في ضوء قرارات المؤتمر الثقافي العربي الذي عقد بلبنان في العام الماضي ، ثم تقدم نتيجة ذلك إلى مؤتمر المجمع في دورته القادمة

٦ — تكوين لجنة لوضع كتاب في النحو طبقاً لقواعد تيسيره التي أقرها المجمع من قبل .

٧ — الموافقة على جواز وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء إلى جانب الصيغ الأخرى التي يستسيغها الذوق العربي .

٨ — الموافقة على جواز النحت عندما تلجىء إليه الضرورة العلمية .

٩ — الموافقة على جواز توهم أصالة الحروف في بعض الكلمات العربية .

وسنرجع إلى بيان بعض هذه القرارات في الأعداد القادمة بمشيئة الله .

أعضاء مراسلون بالمجمع :

وقد عرض على المؤتمر فى جلسته الأخيرة موضوع اختيار أعضاء مراسلين بالمجمع من الخارج ، وبعد مناقشة اتفق على ترشيح الآتية أسماؤهم .

الأستاذ جبرييل من روما ، والأستاذ أربرى من لندن ، والأستاذ لاوست من ليون ، والأستاذ نيبرج من أبسال ، والأستاذ خليل مردم والأستاذ شفيق جبرى والأمير مصطفى الشهابى والأستاذ جميل صليبا والأستاذ عارف النكدى من سوريا ، والأستاذ محمد بهجة الأثرى من العراق ، والأستاذ الشيخ طاهر ابن عاشور ، والأستاذ الشيخ علال الفاسى من تونس ، والأستاذ الشيخ محمد الحجوى من مراكش ، والأستاذ الشيخ محمد نور الحسن من السودان ومدرس بالأزهر .

وستعرض هذه الأسماء على مجلس المجمع لاتباع ما يقضى به مرسوم المجمع ولائحته فى شأن تعيين الأعضاء المراسلين .

ضيفان من لبنان :

فى القاهرة الآن ضيفان كريمان من إخواننا أدباء لبنان ، هما الأستاذ سعيد تقى الدين ، والأستاذ سهيل إدريس . والأستاذ سعيد هو قنصل لبنان فى الفليبين ، وقد قضى فى هذه البلاد بعيداً عن البلاد العربية اثنين وعشرين عاماً ، وقد بدا نشاطه الأدبى فى السنوات الأخيرة بما نشره فى صحف لبنان وما ألفه من الكتب فى القصص والنقد الأدبى ، وآخر كتاب ظهر له « حفنة ريح » . والأستاذ فى طريقه من أمريكا إلى لبنان بعد هذه الغيبة الطويلة ، وقد تحدث إلى عن شعوره لما حل بمصر فعبر عن سروره بتطور الشعور القومى العربى وقال إن هذا الشعور قد تجاوز الرسميين والمثقفين إلى أفراد الشعب ، كما قال إن التمازج بين شعوب العرب هو غاية الفكرة العربية .

أما الأستاذ سهيل إدريس فقد جاء من لبنان للقاء الأستاذ سعيد تقى الدين بمصر ، وهو يهتم فى هذه الزيارة القصيرة بالتعارف مع أدباء مصر والوقوف على نواحى النشاط الأدبى فيها

الأدب الشعبى :

سمعت يوم الجمعة من محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية ، حواراً بين الأساتذة شوقى أمين وكامل عجلان ومصطفى حبيب ، كان موضوعه « توحيد النهج الأدبى بين الأمم العربية » وقد تتبعت حديثهم باهتمام لأرى كيف يختلفون فى هذا الموضوع ، فلم أجد بينهم خلافاً فى الصميم ، فأصل القضية أن الأمم العربية ذات لغة واحدة تصوغ بها آدابها التى تجتمع فى خصائص عامة ، ولابد مع ذلك من اختلاف ألوانهـا وسماتها باختلاف البيئات ؛ ولم يكن بين الأساتذة المتحاورين من يقول بغير ذلك ، وإنما كانوا يشققون الكلام دائرين حول ذلك المحور . ولكنهم أثاروا فى ضمن الموضوع مسألة الأدب الشعبى فاختلفوا فيها حقاً ، فقد قال الأستاذ عجلان : أريد أن تكون حياة الشعوب العربية فى فنهـا الرفيع صورة متحدة ، وهذا يدعونى إلى أن أغضى عن الأدب الشعبى الذى لا ينفذ إلى طوايا الخلود . فقال الأستاذ حبيب : أنا لا أوافق على الغض من الأدب الشعبى ، لأنه الأدب الحى الذى يمثل مشاعر الشعب وآماله وآلامه . فقال الأستاذ شوقى : أراها حديث الأدب الشعبى وكأنما تجاهلنا أننا اتفقنا على ضرورة التوحيد اللغوى بين العالم العربى ، فإذا فهم من الأدب الشعبى أنه الأدب المكتوب باللغة المحلية العامية فإنه مهما يكن من سموه لن يقوى على البقاء ، فاللغات العامية فى تطور وشيك ، وهى بتعميم الثقافة تتعرض للتداعى ، وستذهب جهود أولئك الأدباء الشعبيين هباء بعد سنوات هى وإن كثرت قليلة فى عمر الزمان ، وإن المصرى اليوم ليعجز عن تفهم قطعة كتبت بالعامية منذ نصف قرن فقط ؛ وأما إن أريد بالأدب الشعبى الذى يصور منازع الطبقات العامية ويجلو أوضاع حياتها فإن هذا الأدب إن كان مكتوباً باللغة العربية كان بقاؤه مرهوناً بالدرجة التى هو عليها من الجودة والروعة ، وقد بقيت لنا روائع فى الأدب العربى بقوة تصورها لا بجلالة موضوعها ولا بأنها تمثل أدب الخاصة .

النهضة التعليمية فى القرن الأخير :

هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها يوم الخميس الأستاذ اسماعيل القبانى بك المستشار الفنى لوزارة المعارف بنادى اتحاد خريجى الجامعة ، وقد استعرض فيها المراحل التى مر بها التعليم فى مصر منذ عصر محمد على ، وعنى بإبراز مشاكله الحاضرة مبيناً أن أصولها ترجع

إلى ذلك العصر ؛ فقد كان بمصر قبل محمد على تعليم دينى بالأزهر والكتاتيب ، وكان هذا التعليم يتفق مع الشعب وعواطفه ، ولكنه لم يكن يلائم الحضارة الأوربية التى أخذ بها محمد على فى الإصلاح والنهوض بالبلاد ، فلجأ إلى إرسال البعوث وإنشاء المدارس لتخريج فنيين يستعين بهم على ما اختطه من الإصلاح ، فلم يكن الغرض نشر التعليم بين أفراد الشعب وإنما كان وسيلة إلى إعداد طائفة من الفنيين ؛ فكان هناك تعليمان ، تعليم شعبى وهو الدينى ، وتعليم خاص يعد الموظفين والحكام ، فنشأ عن هذا مشكلة الازدواج فى التعليم التى لا تزال الدولة تعالجها بالعمل على توحيد المرحلة الأولى فى التعليم .

وبين الأستاذ اتجاه التعليم فى عصر إسماعيل وما تلاه إلى ناحية الشعب ونشر الثقافة بين أفراده ، حتى نكبت البلاد بالاحتلال الذى عمل على قصر مهمة المدارس على تخريج موظفين ، وقال إنه يلاحظ أن النهضات التعليمية فى مائة السنة الأخيرة اقترنت بالشعور الوطنى القوى ، وذلك يتمثل فى اجتماع مجلس الشورى فى عهد إسماعيل الذى نادى بوجوب الاهتمام بالتعليم فكانت نهضته وكان تنظيمه على يد على باشا مبارك سنة ١٨٦٦ ، وفى الحركة العرابية اهتم الخديو توفيق بإصلاح التعليم ، فوضعت النظم لنشره فى جميع أنحاء البلاد ، ولكن الاحتلال لم يمهل هذه النظم لتؤتى ثمراتها ، ويتمثل ذلك أيضاً فى دعوة مصطفى كامل إلى إنشاء المدارس الأهلية وفى الدعوة إلى إنشاء الجامعة المصرية وفى مجاراة حكومة الاحتلال للشعور الوطنى بإنشاء مدارس مجالس المديريات ، ثم يتمثل فى أوائل العهد الدستورى سنة ١٩٢٥ وما صاحبه من توسيع التعليم ، ويتمثل أخيراً فى اشتداد الوعى الاجتماعى والقوى الحالى وما يجرى معه من العمل على تهيئة فرص التعلم للجميع .

ومما قاله الأستاذ القبانى بك أن التعليم كان منذ محمد على إلى وقت الاحتلال بالمجان ، وكانت مجانيته حقيقية لا كالمجانية الحالية التى أخذ بها فى التعليم الابتدائى ؛ لأن المدارس إذ ذاك كانت مفتوحة لكل راغب فى التعلم مع ملاحظة قلة الراغبين ، أما الآن فإن المدارس لا تتسع للجميع ؛ لأن الدولة لا تستطيع أن تلبى كل الرغبات لقصر وسائلها . ولن تكون المجانية محققة حتى تستطيع الدولة أن تفتح أبواب مدارسها لجميع أبناء الأمة على السواء فى تعليم موحد .

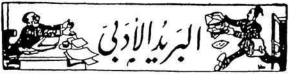
تعريب الأفلام :

شغل الوسط السينمائى والصحف الفنية فى هذا الأسبوع بموضوع ترجمة الأفلام الأجنبية إلى اللغة العربية المعروفة بعملية (الدبلاج) وقد أثار هذا الموضوع عرض فلم « لص بغداد » الأمريكى بسينما ستوديو مصر ناطقاً باللغة العربية . وقد أبدى السينمائيون المصريون سخطهم واحتجاجهم على هذا العمل بدعوى أنه خطر على الأفلام المصرية ويهدد عمال السينما بالتعطل . وإلى جانب هذا يرى بعض النقاد أنه لا خطر على السينما المصرية من الدبلاج بل هو يؤدى إلى ترقيتها ؛ لأن المنافسة القوية تبعث على الإجادة ، ويرى بعضهم أن الذى يهدد السينما المصرية حقاً إنما هو هذه الأفلام التى كثرت أخيراً وسادها التهريج والابتذال والاستخفاف بالجماهير وتخديرها واستغلال جهلها ، وأنه إذا كان السينمائيون يطالبون بحمايتهم من المنافسة الأجنبية فالواجب قبل ذلك هو حماية الفن السينمائى الصحيح وحماية الجمهور من الفوضى والاستغلال . وقد تلقى منتجو هذه الأفلام الدرس القاسى من الجمهور بإعراضه أخيراً قبل أن يهددهم به الدبلاج .

والعجب أن منتجى الأفلام المصرية يثورون الآن على تعريب الأفلام الأجنبية وهم يزاولون هذا التعريب فى أفلامهم مع التمصير والمسخ والتشويه ... ثم ادعاء التأليف !

هذا وقد تألفت لجنة للنظر فى هذا الموضوع برياسة معالى وزير الشؤون الاجتماعية ، واجتمعت وقررت السماح بإطلاق تعريب الأفلام العلمية والثقافية وتحديده للأفلام التاريخية والتمثيلية بثلاثة أفلام فى السنة ، كما وافقت اللجنة على السماح بتعريب أفلام الدول التى تستورد أفلاما من مصر ، على أن يكون عدد الأفلام الأجنبية التى يسمح بتعريبها فى هذه الحالة مساوياً لعدد الأفلام المصدرة من مصر إلى هذه الدول .

العباس



رد على نقد :

نشر الأستاذ « زينون » في الثقافة نقداً لكتبي الثلاثة : أحمد عرابي وإبراهام لنكولن ومن وراء المنظار ؛ ومما جاء في نقده قوله : « وأحب أن أقدم للقارىء مفتاحاً لكل ما كتب الأستاذ الخفيف وما سيكتب ، بل مفتاحاً لكل ما تحدث به إذا ما تحدث ، فقد وجدت هذا المفتاح إذ كنت أقرأ له هذه الكتب الثلاثة التي أخرجها وهو جماع ظاهرتين معروفتين في علم النفس ، أما أولاهما فهي ما يسمونه اتحاد المدرك بالمدرك وأما الثانية فهي ما يسمونه بتفكير التمني »

جعل الأستاذ هاتين الظاهرتين أساس ما أكتبه بل ما سأكتبه وذلك أعجب ، وقال « فلا تقرأ له هذا التاريخ الذي سطره بحيث تحاسبه الحساب العسير الذي تحاسب به مؤرخاً أخذ على نفسه أن يثبت لك الحق أجرد بارداً ، بل اقرأه قراءتك لأديب قادر ماهر أضفى خياله ألواناً زاهية على ما يكتب وما يصور من مواقف » .

عجبت إذ قرأت هذا ، وازداد عجبي لأن كاتبه هو الأستاذ « زينون » بالذات ، وهو من أعلم رجاحة عقل وصدق نظر وسعة اطلاع ، وإنه ليعلم كما أعلم أن تفكير التمني إن جاز في القصة فهولا يجوز في التاريخ ؛ لأن التاريخ مسائل تقرر أو تنقض بالدليل فإن « جرى فيه الفكر بما يتمنى الكاتب أن يكون هو الواقع » لم يعد تاريخاً وإنما أصبح قصة . والأستاذ « زينون » قد قرأ كتبي كما قال ، وأنا من ناحيتي قد بنيت كتابيَّ وبخاصة الأول على الوثائق أستخرج منها الدليل ، وأحسب أني ما قدمت رأياً واحداً بغير برهان أو عدة براهين أرجعتها إلى مصادرها ، وهذا هو ما تفضل بعض حضرات القراء فأثنوا به على كتابي « أحمد عرابي » ؛ وإذا كان الأمر كذلك فلي أن أعجب من تفكير التمني » هذا الذي نسبه إليَّ الناقد الفاضل وجاء في نقده قوله عني « اقرأه قراءتك لخطيب أخذ بلوح بيديه لسامعيه ويرفع ويخفض من صوته ، لا يعنيه أن يقول الحق جافاً كما تفهمه النلوم ، بل يريد أن يقع من نفوس سامعيه بما أراد أن يقع »

والأستاذ « زينون » يعلم كذلك كما أعلم أن لكتابة التاريخ طرقاً منها أن يكون حول شخصيته ، ولهذه الطريقة دعاة كثيرون اليوم وهو في هذه الحال مزج بين الأدب والتاريخ كما يصنع أساطين كتاب التراجم المحدثين من أمثال زويج ولدوج وكما فعل بلوتارخ في الأقدمين ، ومن المؤرخين من اصطنع هذا في غير الشخصيات كذلك ، وما أظن خلود جيبون إلا لأنه كان أديباً في كتابه ومؤرخاً معاً ، وأنا أستطيع أن أفعل مثل ذلك على قدر طاقتي ، وأحسبني فعلته في كتابي فأوردت الحقائق وتقيدت بها ثم أضفى خيالي الأدبي ما شاء « من ألوان زاهية على ما كتبت وما صورت من مواقف » ولكن دون أن أضحي بالحقائق أو أفكر تفكير التمني ؛ وإذا كان الأستاذ الناقد قد أورد ما أورد من الشواهد ليؤيد بها خطابتي ، فليت شعري لم اقتصر عليها ، ولم يورد شواهد من براهيني ومناقشاتي وتحليلي ؟ أذلك لأنه يريد أن يجعلني على رغمي أفكر تفكير التمني ؟

أؤكد للأستاذ الفاضل « زينون » أني ما أردت بردي هذا دفاعاً عن كتبي بقدر ما أردت أن أبرهن له أن ما سماه تفكير التمني لن يكون في كتابة كاتب وتسمى مع ذلك تاريخاً قط ، وأنا أعاهده وأشهد القراء على عهدي هذا ، أنه إن دلني على شيء فيما كتبت لا يستند إلى دليل ، أخطأت فيه أو أصبت ، فلن أكتب تاريخاً بعد ذلك أبداً ، ولعله لا يتبرم ، بما في عهدي هذا من خطابة ، ولعله واجد فيه منطقاً ، أو على الأقل ، شيئاً يشبه أن يكون منطقاً .

أما عن وراء المنظار ، فإنه يقول : إن دقة التصوير التي زادت فيه عن حدها قد أنقصت بعض الشيء من قيمة هذا الكتاب الفنية ، وأحب أن أقول إن هذه الدقة التي زادت عن حدها هي أقوى مدح يوجه إلى مثل هذا الكتاب وهي جوهر فنه ، فهو ليس بقصة فيها أحذف شيئاً من الطبيعة وأضيف شيئاً » ، وإنما هو « من وراء المنظار » أعني أني أكتب ما أرى وكلما تواتى لي من الدقة قدر كنت إلى هدفي أقرب ... وليت لي حقاً هذه الدقة التي زادت عن حدها ، فإنه لم ينلها إلا الكل طويل الباع من القصصيين الواقعيين وهي مجال سبقهم وموضع تبرزهم

هذا ، وللأستاذ « زينون » صادق مودتي وعظيم شكري على ما تفضل به عليَّ من ثناء أرجو أن أظل عاملا عليه .

الخفيف



أقصوصة من روائع الأدب الايطالي :

من شابه أباه

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

عاش قديماً من بلاد « الإغريق » ملك ذو بأس وسلطان عظيم ، يدعى «فيليب» ... وقد ألقى ذلك الملك فى غياهب السجن بأحد العلماء الراسخين فى العلم .. لما قارفه من إثم وركبه من عدوان ! ..

وكان ذلك العالم ممن حباهم الله بالحكمة وآتاهم المعرفة .. حتى ذاع صيته فى كل أفق .. وجرى ذكره على كل لسان ..

وحدث ذات يوم أن أهدى ملك «أسبانيا» إلى الملك « فيليب» جواداً كريم الأصل جميل الشكل أشهب اللون ذا جرم عظيم ... ! فأرسل الملك فى طلب « البيطار » ليعلمه الرأى فى هذا الحصان ، بيد أن هذا أسر فى أذنه أن الحكيم الإغريقى هو أعلم أهل الأرض بكل أمر ، وأخبرهم بكل شىء ! ..

فدعاه الملك من سجنه ! . وقال له : « أيها السيد .. لقد أتى فى روعى ما أصبت من العلم البعيد ، وترامى إلى سمعى ما جنيت من الخبرة العميقة ! . فخبرنى بما تراه فى هذا الجواد ؟ ! . »

فلما أنعم الحكيم فيه النظر ، وفحصه عن دقة وبينة .. تبسم وقال للملك : « يامولاى .. إن هـذا الجواد جميل حقاً وسريع الركض ! . بيد أنه أرضع لبن الحمير ! .. »

فأوفد الملك « فيليب » الرسل إلى « أسبانيا » ! ليلموا بجلية الأمر ، فانثنوا على أعقابهم يسوقون له اليقين على أن التى أرضعت الجواد حمارة .. فقد نفقت أمه إثر ولادته ! ..

فأخذت الدهشة الملك وتولاه الإعجاب ! .. وأمر بأن يقدم إلى الحكيم فى سجنه ، نصف رغيف من الخبز — جزاء له على صدق ما نظر — من نفقة القصر ! .

ثم حدث بعد ذلك أن جلس الملك إلى مجموعة من جواهره الثمينة ولآلئه الغالية ، يختبرها .. فلم يلبث أن بعث إلى الحكيم يدعوه ! . وقال له سيدى إن غور علمك بعيد لا يدرك له العقل نهاية ولا يبلغ منه غاية ! ويلوح أنك عليم خبير بكل دقيقة فى هذا الوجود ! . وها هى ذى أحجارى الثمينة التى أعتز بها ، وأهتز زهوا لها ! فدعنى — بربك — أعلم أيها أعظم — فى نظرك الثاقب — قيمة وأكرم معدناً .. » فأجابه الحكيم هازئاً : « هلا أنبأتنى يا مولاى أى واحدة تحسبها أثمن هذه الجواهر وأكرمها ؟ »

فانتقى الملك من بينها جوهرة تتألق جمالا وتفيض بهاء .. ومد يده بها إلى الحكيم وهو يقول « إن هذه — أيها السيد الجليل — تبدو لى أشد حسناً وأرفع قيمة ! .. »

فتناولها « الحكيم الإغريقى » وراح يفحصها بين أنامله ويقلبها فى راحته ، ثم أدناها من مسمعه ، وأصغى برهة إليها ! ثم قال فى صوت هادىء رزين : « يخيل إلى يامولاى .. أن هذا الحجر يضم فى جوفه حشرة حية ! .. » فأمر الملك — مستغرباً — بالجوهرة أن تكسر فى رفق ! .. فخرجت منها — أمام ناظريه — دودة تسعى !

فزاد دهش الملك وعظم إعجابه بحكمة الإغريقى ، وعقله الفذ وعلمه العجيب .. وأمر بأن يقدم له — فى سجنه — رغيف كامل كل يوم ! ..

وانسلخت أيام وانقضت شهور ، وكان الشك لا يفتأ ينتاب الملك ، والظنة لا تبرح تراوده بين حين وحين فى نسبه إلى أبيه !.

فأرسل فى طلب الحكيم ، وقال له : « أيها الرجل العليم ... إن بلاءك اليوم لعظيم .. أريدك على أن تخبرنى ابن من أنا ؟ ! »

فأجابه العجوز — مظهراً الدهشة — فى صوته الهادىء وحكمته الرزينة : « يا مولاى .. إن هذا لعجيب ! لاريب فى أنك ابن سلفك الملك العظيم .. والدك ! . » فصاح الملك حانقاً فى غلظة : « إياك والمراوغة من سؤالى : إخبرنى الحقيقة وأنت آمن ! فإن خالجك تردد ، فسوف أضرب عنقك كخائن حقير ! »

فأجابه الإغريقى : « إذن يامولاى ! لاتثريب على ولاحرج ، إنى أخبرك أنك سليل خباز ! » فدخل الملك « فيليب » على « الملكة الوالدة » .. قلقاً ظامئاً إلى جلاء الحقيقة .. وهددها وشدد النكير عليها .. فاعترفت له بأن الحكيم لم يتجاوز الحق فيما قاله !.

حينئذ بلغ إعجاب الملك بالحكيم حداً عظيما ، فاحتبسه معه فى غرفة بمنأى عن القوم — وقال له : « يا سيدى الجليل ! .. لقدتجلت لى آيات بينات من علمك ، وبراهين ساطعة على قدرتك ! وقد حان أن تكشف لى النقاب عن سر معرفتك بها وحكمك عليها ! .. »

فأجابه الحكيم — وهو يبتسم فى لطف — : « يامولاى ! سأنبئك بتأويل مالم تحط به خبراً ! ... أما الحصان فقد علمت أنه رضع لبن الحمير من أذنيه المتدليتين المتراخيتين ، وليست هذه من طبيعة الخيل ! .. وعلمت أن فى جوف الجوهرة حشرة حية ، لأنى استشعرت حرارة لما قبضت عليها .. وعهدنا بالأحجار باردة.! ومن الجلى أن الحرارة لا تصدر إلا عن كائن حى داخلها ! »

ثم سكت الحكيم .. فقال له الملك مستحثاً : —

« هه .. وكيف فطنت إلى أنى ابن خباز ؟ »

فاستطرد الحكيم فى قوله وهو يبتسم فى خبث ورقة : « حينما أخبرتك بحقيقة الحصان لم تجد على إلا بنصف رغيف من الخبز ، وعند ما أنبأتك عن الحشرة الحية فى بطن الجوهرة أمرت لى برغيف كامل من الخبز كل يوم ! فأدركت عن يقين من هو أبوك !

فلو أنك وُلدت من صُلب ملك حقاً لوهبتنى مدينة بأسرها كنحة أستحقها .. ولكنك اكتفيت برغيف من الخبز وهو ما كان يفعله أبوك الخباز !.. ومن شابه أباه فما ظلم !.. »

حينئذ خجل الملك من ضعة أصله ودناءة سجاياه ! وأطلق اسر « الحكيم الإغريقى » ورد عليه حريته ..! ثم أعاده إلى أهله متقلا بالعطايا .. وولاه منصباً رفيعاً ! ..

مصطفى جميل مرسى

صـــانع الخير

للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد

كان الوقت ليلا ، . حده . فلاحت له من بعيد أســوار مدينة مخططة على شـكل دائرة ، فوجه خطاه نحوها . ولما دنا منها سمع فى داخلها خفق أرجل طروبة ، وقهقهة أفواه جذلة وأنغام قيثارات كثيرة صادحة ؛ فقرع الباب ففتح له البوابون فرأى أمامه قصراً من المرمر، أعمدته الرخامية الرائعة الجمال متوجة بأكاليل الأزهار ، وفى داخله وخارجه مشاعل مضاءة من الأرز . فدخله وبعد أن اجتاز ردهات من العقيق الأبيض الخلكيدونى وأواوين من اليشم وبلغ قاعة الوليمة المستطيلة رأى على متكأ من الأرجوان شاباً مكلل الشعر بالورود ، قرمزى الشفتين من أثار الخمر . فدنا منه ولمس كتفه قائلا : « لماذا تعيش هذه الميشة ؟ » فالتفت الشاب وراءه فعرفه وقال : « قد كنت أبرص فأتيت أنت وشفيتنى . فكيف أعيش غير هذه الميشة ؟ » .

ترك القصر وخرج إلى الجادة ورأى بعد هنيهة امرأة موشاة الثياب بالنقوش تنتعل حذاء مرصعا باللؤلؤ ، ورأى شاباً مرتديا ثوباً ذا لونين يسير فى أثرها الهوينا مترقباً كأنه صياد . وكان وجه المرأة شبيها بوجوه الدمى الجميلة ، وعينا الشاب تشتملان لذة وتدفقان شهوة ، فتأثرهما مسرعاً حتى داناهما . فلمس يدى الشاب وقال له : « لماذا تنظر إلى تلك المرأة هذه النظرات ؟ » . فالتفت الشاب وراءه فعرفه وقال : « قد كنت فيما مضى أعمى فأرجعت إلىّ بصرى . فإلى أى شىء أنظر إذا لم أنظر إلى ما ترى ؟ » .

فتركه وتبع المرأة حتى أدركها . فمس ثيابها المزركشة وقال لها : « أليس من سبيل غير سبيل الخطيئة ؟ » . فالتفتت المرأة إليه وعرفته فضحكت وقالت : « ولكنك قد غفرت لى ما أسلفت من خطايا من قبل . وهذا السبيل طريق المسرات ! »

فخرج من المدينة حتى إذا كان فى ظاهرها رأى شاباً ينتحب على قارعة الطريق فاقترب منه ، ولمس غدائره المترسلة وسأله . « لماذا تبكى ؟ » فرفع الشاب طرفه إليه فعرفه وقال له :

« لقد كنت ميتاً ، فجئت أنت فأحييتنى ، فماذا أصنع غير البكاء ؟ »

عبد الوهاب مصطفى